اسم الله الأعظم

المسمى

القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد

تحقيق وتقديم:

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار
توفيق على وهبة

مكتبة النافذة

اسم الله الأعظم

المسمى

القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد

أحمد عبد الرحيم السايح

توفيق على وهبة

الطبعة الأولى / 2006

رقم الإيداع 2006/5485

الترقيم الدولى 5- 24 – 6189 – 977

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى – الثلاثينى – فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

Email : alnafezah@hotmail.com

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين. الذي أنعم على المؤمنين بنعمة العرفان وكشف لهم عن فضله ومننه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد. خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة وهداية للناس أجمعين.

وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسلك طريق الحق إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن كتاب «القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد» للإمام الجليل، صاحب الحكم، العراف بالله ابن عطاء الله السكندري. من الكتب التي تبشر القارئ بما تفتح له من آفاق الارتقاء والسمو. تبشره بفضل الله سبحانه وتعالى وتجلياته على عباده.

ومما ينبغي أن ندركه أن حاجة الناس إلى هذه الكتب تبدو شديدة في هذا العصر.. لأن الناس في مسيس الحاجة إلى السمو والارتقاء. وكلما أكثر الإنسان من ذكر الله. كلما أحس بالسعادة والراحة والطمانينة.

وذكر الله عز وجل عامل من عوامل القرب من الله. وحسب الذاكر أن يشعر ويحس بمعية الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني».

وقد بدا لنا ونحن نتابع حركة الإصلاح في المجتمعات الإنسانية أن تقديم كتب السلوك والذكر من أجل ما يصلح في المجتمع..

لأن المجتمعات الإنسانية تسعد بالقرب من الله. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

ومما هو واضح أن السلوك إلى رب العالمين يجعل الإنسان صالحاً مصلحاً يساهم في العطاء الخير، ويقدم للناس كل ما هو مفيد.

وإن أمة تعتصم بكتاب الله، وسنة الرسول محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وتلتزم بسلوك الصالحين. لا بد وأن تصل إلى خير ما قدر لها في الحياة. وإذا كنا ننظر إلى مستقبل مشرق. فلا بد أن نتمسك بالقيم الفاضلة التي تمسك بها السلف الصالح.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب

إنه سميع قريب

الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار

توفيق على وهبة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه بأنوار هدايته، وصفى أسرارهم لتجلى صفة جلاله وجماله وكمال عظمته.

وأخلصهم للعكوف على بساط أنسه بالقرب من حضرته، وخلصهم وخصصهم لمناجاته ومحادثته ومكالمته ومخاطبته.

وانبأهم وعرفهم بحقائق سر أسماء ربوبيته.

فتجلى لهم بأسمائه وصفاته ففاضت عليهم بالأشراق أنوار شمس معرفته.

وقبض عن أنفسهم كل تلوينها وأمد على قلوبهم ضياء تمكين خصوصيته.

ففهمهم وألهمهم ونبههم لحسن آداب مجالسته.

ثم كشف لهم عن جمال كمال بهاء وجهه الكريم فاستغرقهم من عنايته، وأظهر لهم من غرائب صنعه وإتقان فعله وبدائع حكمته.

وما شهدوا به من عجائب ملكه وملكوته وجبروته.

فغابوا وفنوا به عنهم عند معاينته ومشاهدته.

ثم ثبتهم وابقاهم به وآنسهم بطلب رحمته وأدناهم بكرمه، وقربهم بلطفه وعاملهم بفضله وسقاهم من شراب محبته، وأودعهم أسراره ووهبهم ذخائره وجعل أس ذلك وأصله في معرفة اسم إلهيته.

وستر فيه سره عمن شاء فحجب أشكال صور معروفة وعدد جملته فبداية فهمه في أول ألفه ونهاية علمه في معنى آخر.

هاء هويته فطوبى لمن رفعت له حجب ظلم معنى ظاهره عن نور معنى باطنه حتى حنى سر ثمرته، وانشق طيب عبيره وذاق طعمه ولذيذ حلاوته.

وعلم منه وشاهد به ما في الوجود من عوالم ظاهره ومعالم باطنه علوية وسفلية على كيفية ذاته وحقيقة ماهيته.

وتم له تصرف في ملك مملكته بأمر كن في الوجود بوجود الأشياء على حسن مقتضى إرادته فلله الحمد بكماله كما ينبغي ويجب لجلاله على ما أسبغ في الظاهر والباطن من تمام نعمته.

ونشهد لله توحيده وتحقيق وحدانيته، لا إله إلا الله هو الواحد في ذاته العظيم في صفاته والعزيز في فردانيته.

ونشهد لنبيه ورسوله بكمال نبوته وعموم رسالته وتخصيص عبوديته، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وعترته، وذريته وأهل بيته.

ورضى الله عن جميع أصحابه وتابعيهم أبدًا بإحسان من أمته وأهل ملته.

وبعد، فإن إكسير الزيادة، وكيمياء السعادة، وقاعدة كل قدم وحال ومقام، وأس أصول دعائم الإحسان والإيمان والإسلام، هو معرفة التوحيد، المجرد عن إضافة التقييد.

المحفوظ عن تصميم التقليد الموصوف بعلم الأسماء والصفات، المتنزه عن حدوث طرق الآفات الجامع لذكر معاني اسم الإلهية، المشتملة على جملة لطائف الأسرار المعنوية، والذخائر النفسية المصونة، والجواهر الثمينة المكنونة.

وهو أصل المعارف الدينية، ومحل العوارف اليقينية، لأن شرف العلوم على قدر شرف المعلوم، وشرف العالم على قدر شرف علمه.

ولا شيء أشرف من الحق وطلبه، ولا شيء أشرف في الدنيا من معرفة الله وقربه.

ولا شيء أشرف في الجنة من النظر إلى وجهه.

وكل علم موقوف على معلومه وشرفه بشرفه، وعلم التوحيد موقوف على معرفة الواحد وصفة وحدانيته.

ومعرفة الله هي الغاية القصوى، واللباب الأصفى، ومشرب عذب لكل عبد وارد، ولا يصل للتنعم بشربها إلا واحد بعد واحد، وهي المطلوبة لذاتها وعين الزيادة وبها تنال أعظم الأحوال وأتم الإفادة.

وإن بداية السالك طلب المعرفة، ونهاية غايته توحيد الذات والصفة، لأن معرفة الله غاية الغايات، وتوحيده أجل وأكمل النهايات،والعلم به يفيد ذات الذاكر بيانا وتحقيقا.

والعمل بمقتضاه يزيد في صفات السائر برهانا وتوفيقا، ومن أخذ من العلوم والحكم اشرفها وأرفعها، ومن المعاني صفوها وألطفها وأنفعها.

وفهم حكم باطنية أمرها، وعلم حكم علانيتها وسرها، فقد تجوهر باطن قلبه، وتمهد ظاهر أدبه، وتسمى في الحقيقة إنسانا، وشاهد الحق حقا عيانا.

وصار الخير بالذات في الأوصاف والصفات وعرف الله إيمانا ويقينا، وصنعته بيانا وتبينا.

وقد أودع فيها من اللطائف الغريبة، والنكت والعلوم والمعارف العجيبة، ما يكتفي بقدره، ويستغني بذكره، من غرائب العلم، وعجائب الحكم، فوائد الطرف، وفوائد التحف.

وسماها رسالة «القصد المجرد، في معرفة الاسم المفرد».

وهو الله جل ذكره وعز قدره، وحصر مجموعها في قسمين، ضابطين لها محكمين.

وأتى على كل قسم منهما بشاهد أدلة صحيح منقول البيان، ومعقول صحيح البرهان، من الكتاب والسنة وقول العلماء الألمعية.

ومن اقتفى أثرهم من الفضلاء والصوفية، فاعلم ذلك والله الموفق للصواب، الحافظ من الأوصاب!

القسم الأول

في معرفة اشتقاقه وأقسامه وذكر تفصيل حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ۝٨٧ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢٦ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ۝٩٨ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾[6].

فتنبه أيدك الله تعالى في هذه الآيات وفي أمثالها كيف ابتدأ فيها بذكر اسم الله، ونفى ما سواه، وإثباته إياه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٨٧.
(٣) سورة النمل: الآية ٢٦.
(٤) سورة طه: الآية ٩٨.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٣.
(٦) سورة طه: الآية ١٤.

فكل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته.

وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه.

فإنه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء وسيأتي ذكر ذلك والكلام على حروفه مبينا إن شاء الله تعالى وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[2].

أراد فيهما معرفته بالألوهية، وعبادته، وذكره، وفعله، وحكمه، وأمره.

وقال ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وفي رواية أخرى «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به.

فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل: «يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار.

فقال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشرون قال إذا يتكلوا».

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٤.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله الله وحده لا شريك له».

وقال عليه السلام لأبي هريرة ﷺ: «من لقيته يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة الحديث».

فتأمل وفقك الله تعالى كيف اشترط الله ورسوله العلم في التوحيد، والعبادة في المعرفة، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] ، وقال عليه السلام «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي رواية: «من مات وهو يشهد» والشهادة هي العلم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[3] ومعناه ليعرفون، وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم فرائض» الحديث.

فبين وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم بالتوحيد وجميع الرسل عليهم السلام قد اجتمعوا على دعواهم الخلق على التوحيد كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) سورة محمد: الآية ١٩.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

وقال عليه السلام: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي الحديث» ولا خلاف بين الرسل في التوحيد.

وإنما اختلفت شرائعهم: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا ﴾[2].

[فضل لا إله إلا الله]

ولا إله إلا الله هي لاستنقاذ الذات المحدثة من العذاب الأدنى في الحال.

ومن العذاب الأكبر في عاقبة المآل، وعلى النطق بها بنى الإسلام وعلى قواعدها والعمل بمقتضاها بنى الإيمان، وعلى فهم عقائدها والجمع بينهما بنى الإحسان.

ومن شهود شرفها يترقى إلى مبادئ الإيقان، فقولها إسلام، وعملها إيمان، وفهمها إحسان وتحققها إيقان، وظاهرها عنوان الإسعاد.

فظاهرها عالم الملك بداية للشهادة، وباطنها فهم المراد بها في عالم الملكوت وبسط للمعرفة، وحقيقتها كشف معنى أسرارها في عالم الجبروت نهاية للشهادة.

فهي في الدنيا عقد الجنان على مقتضى الإيمان، وفي الآخرة

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

الكشف والعيان على مقتضى الإيقان وهي عصمة في الدنيا للدماء والأموال، وعصمة في الآخرة عند عاقبة المآل.

فمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، عصم ماله ودمه إلا بحقها، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة.

ويجمعها سر معاني التوحيد، ومعرفة التفريد، وفهم التجريد، وهي الدالة على قول النبي ﷺ «أوتيت جوامع الكلم».

فمن طلب الله بنفسه دون اقتداء. لم يصح توحيده وارتدى، ومن طلب بالله ورسوله وهو العلم صح توحيده واهتدى، ومن عرف الله من جهة الإيمان أطاعه، ومن عرفه من جهة اليقين آثره، ومن عرفه من جهة التوحيد عظمه.

ومن لم تفده المعرفة علما بالله وبصفاته ومزيدا في حقيقة توحيده، فهو محجوب والمحجوب مفقود فإيمان العلماء عن علم يقين.

وقال رسول الله ﷺ: «اليقين هو الإيمان كله».

والنقل والرواية في علم الإيمان أنفع وأقوى من التقليد، والكشف والدراية أنفع وأقوى في علم التوحيد، فإن لا إله إلا الله محمد رسول الله لازمة للخلق اعتقادا بها قلبا، والاعتراف بها نطقا، والوفاء بها علما.

فإذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب العبد الدنيا والآخرة فتارة له وتارة عليه.

وإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد الدنيا وأحب الآخرة وهجر هواه، وإذا باشر الإيمان سويداء القلب أعرض عما سوى الله.

والتوحيد هو العلم، والعمل أصل الإيمان، والإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم، فإذا ثبت سمى يقينا، فإذا قوى سمى توحيدا، فإذا رسخ سمى معرفة.

فمثل من عرف عقائد باطن الإسلام كمن وجد معدنا.

ومثل من عرف فوائد سر الإحسان كمن وجد الكيمياء. فكوكب سماء ملكوت السعادة الإسلام، ودربها الإيمان، وقراها الإحسان، وشمسها الإيقان، ولا إله إلا الله دائرة بين النفي السالب، والإثبات الموجب.

فالنفي السالب لجميع صفات الحدوث والنقص والعدم، والإثبات الموجب لجميع صفات التنزيه والكمال والقدم.

فمن نظر إلى وجود الحق بين القدم ونظر إلى ما سواه بعين الحدوث والعدم، فقد شاهد أزليته، وقال: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله.

ومن نظر إليه بعين البقاء ولخلقه بعين الفناء، فقد شاهد أزليته.

وقال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده.

ومن نظر إليه بعين العلم والقدرة، وللخلق بعين الجهل والعجز وقصور المنة، فقد شاهد فعله وإحاطته، وقال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه.

وأصل المشاهدة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

مشاهدة فعل بفعل.

ومشاهدة صفة بصفة.

ومشاهدة ذات بذات.

فمن نظر إلى الحق بالحق تجلت له الأشياء والصفات وسريانها في المكونات، والعلم في المعلومات.

ومن نظر إلى الأشياء بالعلم ظهرت له الصنعة في المصنوعات والأفعال في المفعولات.

ومن نظر بالله لا به انقطعت الإضافة وتلاشت المحدثات، وفنيت العبارات والإشارات.

قال الشاعر:

الاحظه في كل شيء رأيته	وادعوه سرا باطنا فيجيب
ملأت به قلبي وسمعي وناظري	وكلى وأجزائي فأين يغيب

واعلم: أن التوحيد هو إثبات القدم، وإفراد المحدث ونفى العدم.

ومعرفة التفريد هو إفراد الاسم، وفهم التجريد هو التنزيه بالعلم، وأصل لا إله إلا الله هو إثبات اسم الألوهية وإخلاص إفراده ونفى ما سواه من الإلهية، وتنزيهه عن أضداده وأنداده.

وبفهم معناه وسره يصح الإسلام، وبشهادته يتم الإيمان، وبقاعدته يكمل الإحسان.

ومحبكم يبين لكم إن شاء الله تعالى معنى هذا الاسم المفرد وصفاته وأسرار حروفه وعددها، وجملة تعداد حسابها، يحصل لمن علمه وأدركه بشواهد مبينة جهد فهم ذوقه، وجال سلوكه.

فاعلم أيدك الله تعالى بمراد المزيد، وفهمك معاني أسرار التوحيد، بفضله من فضله.

أن هذا الاسم، المفرد، المعظم، المقدم، المجرد، أعنى الله عز ذكره، هو اسم الذات العلية، الموصوفة بصفة الألوهية، المعروفة بنعوت الربوبية، المتصف بصفة الأحدية، المنفرد بوحدة الوحدانية.

المنعوت بصمدانيته الصمدية،المنزه عن جنس الكيفية، وأنواع المثلية المقدس عن أن يحيط بمعرفة كنه إدراكه عقول البشرية، فهو

الله

اسم الإله، الواحد، القديم، الحي، القيوم، العلي، العظيم، الباقي، السرمد، الكبير، المتعال، الموجود، المطلق الوجود.

الأزلي الذي لم يزل أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، ولا يزال، المستحق بالوجود الحقيقي، الواجب الوجود.

وكل موجود سواه مستمد منه الوجود، فهو من حيث ذاته هالك فان، ومن حيث موجده ثابت موجود، وهو أعظم الأسماء لأنه دال على الذات العلية، الجامعة لكل كمال صفات الألوهية.

وكمال الذات هو كمال الوجود ودوامه أزلا وأبدا، باق سرمدا واستحال عليه العدم، كما وجب له الوجود والقدم.

قال الشاعر:

جلالك يا قدوس ليس له حد ... كذلك صفات القدس ليس لها عد

تعاليت عن شبه الخليقة كلها ... ومن وصف علياك الطهارة والمجد

قضاؤك محتوم وأمرك نافذ ... وما شئت من شيء فليس له رد

لك المثل الأعلى وكل معبد ... كفاه اعتزازا أن يقال هو العبد

[اختلاف العلماء حول اشتقاق الأسم المفرد « الله»]

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المفرد، هل هو مشتق أم لا؟

والكلام فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: من طريق اللغة.

الثاني: من طريق الحكمة.

الثالث: من طريق المعرفة.

فأما الوجه الأول من طريق اللغة فعلى قولين:

قائل باشتقاقه وإطلاقه.

وقائل بالتوقف عنه ومنعه.

فالمتوقف المانع قال: لا يجوز اشتقاقه من معنى بوجه أصلا فإن الله تعالى قال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝ ﴾[١].

وفيه ثلاث معان: الأول: هل تعلم أحدا تسمى الله غير الله؟! أو اسما غير ما سمى به نفسه.

الثاني: هل تعلم أحدا يستحق كمال الأسماء ما يستحقه الله ويتصف به حقيقة؟!

الثالث: هل تعلم اسما هو أعظم من هذا الاسم المفرد، أوله اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخلق؟!

فهو لا يشبه شيء، وإنما هو دال على ذات الإله الذي قامت به الصفات بمثابة اسم العلم الدال على المسمى من غير اشتقاق له من شيء، وهو اسم تفرد به الله سبحانه وتعالى واختصه لنفسه، ووصف به ذاته، وقدمه على جميع أسمائه واضاف أسماءه كلها إليه.

وكل ما يأتي بعده من الأسماء نعت له، وصفة لوصفه، ومتعلقة به، وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله تعالى وتعرف في الأغلب بالإضافة إليه.

---

(١) سورة مريم: الآية ٦٥.

يقال إنها من أسماء الله تعالى، ولا يقال من أسماء الصبور، أو الغفور، أو الجبار، وكذا الإسلام لا يتم إلا بذكر هذا الاسم، ولا يقبل اسم عوض منه، ولا ذكر بدل عنه، بأن يقال: لا إله إلا الغفار، أو الرحيم، أو الجبار.

وإنما يقال: لا إله إلا الله، وبذلك نطق القرآن والحديث، لأنه أدل على كنه المعاني الإلهية واختص بها، وهو بها أشهر، وأتم، وأظهر.

فاستغنى عن التعريف بغيره من الأسماء وعرف غيره بالإضافة إليه وجعله للنطق والذكر والتعلق، دون الإنصاف به والتخلق.

قال الشاعر:

يـا ذا الـذي قـد دنـا بالبحـث	عن سر معني سما عن رتبة النسب
اقبـل نصـيحة مــن قـد قـال	لا تجعلـن إلى التشـبيه مـن سـبب
لاسم الإله الذي قد جل منفردا	عـن اشـتقاق وعـن اسـم لـذي أرب
قـد ارتضـاه لـه اسمـا ونزهـه	بالذكر عن خلف في سـائر الكتـب
واختصه باسمـه في ذاتـه فـأتى	مـن بينهـا سـائر الأسمـاء بالعجـب
منها الثناء الذي قد عم مشتملا	شكرا على نعم والذكر في الخطب
فـأعلن بـه أبـدا واحـذره عـن	إن كنـت ذا همـم أو كنـت ذا أدب

والقائل بإطلاق اشتقاقه قال: هو مشتق من خمسة أشياء: من الوله، ومن النجا، ومن الحجب، ومن العلق، ومن البقاء.

فأما اشتقاقه من معنى الوله فاصله إله والإله هو الذي يوله له، ويقصد في طلب الحوائج، ويفزع إليه في النوائب، ويرجى فضله،

ويخاف عدله، كما قال الشاعر :

وكلت إليكم في بلايا تنوبني   فألفيتكم عونا كريما ممجدا

وقيل: من معنى إله، زيدت فيه اللام للتفخيم.

فقيل: الإله، ثم حذفوا الهمزة المتخللة بين اللامين، وأدغموا اللام الأولى التي للتفخيم، في اللام الثانية التي للتعظيم، فعظمت.

فقيل «الله» واسم الله من الألوهية، هو اسم يوجب الوله.

إما لشدة طرب العبد وسروره، وإما لفرط شدة حزنه وخوفه وذعره، فيكون بين وقتين، وقت قبض ووقت بسط.

ففي حالة القبض يوجب له هيبة، يصحب طرفها دهشة، وفي حالة البسط يوجب له قربة، يصحب طرفها فرحة.

فمن عرف ربه فزع إليه ودعاه، ووله له وأعرض عمن سواه، وآثر رضاه على هواه.

قال الشاعر:

لله در الغانيات النزه   سبحن واسترجعن من تأله

وأما اشتقاقه من معنى الحجب، فأصله لاه، ومعناه احتجب عن الخلق، وحجب أبصارهم عن رؤيته في الدنيا.

وفي ذلك قال الشاعر:

لاهت فما عرفت يوما   يا ليتها ظهرت حتى رأيناها

فمن عرف ربه راقبه، وحاسب نفسه، وعلم أنه يراه من حيث لا يراه، فهو يستحيى منه.

وأما اشتقاقه من معنى العلو، والرفعة. فأصله أيضا لاه، يقال: لاهت الشمس إذا علت، وتوسطت قبة السماء في علو مركزها واستوت حالة وقوفها.

كما قيل:

لاه الإه وفي أعلى العلا حقا　　　حسبي به فعلى إليه يرقى

وأما الكلام على الوجه الثاني من طريق الحكمة.

فقيل: فيه إنما تفرد الحق سبحانه بهذا الاسم المفرد، أعنى «الله» ومنع الغير أن يتسمى به، وقبض الخلق عن الادعاء فيه، والتخلق به والإنصاف بوصفه، لأجل عظمة الألوهية وكبريائها.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[3].

وقال عز من قائل: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) سورة النمل: الآية ٢٦.
(٢) سورة النمل: الآية ٦٤.
(٣) سورة الأنبياء: ٩٨، ٩٩.

رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾[1]، وفي الحديث الصحيح «قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في أحدهما قصمته».

أي أهلكته، وأدخلته النار، واسم الألوهية عبارة عن وجوه القلوب متوجهة بالجمع والإخلاص إليه، ووجوه الأجسام وأعضاؤها، مقبلة بصدق الخشوع في العبادة عليه.

فإنه الواجب الوجود المطلق، الحقيقي الحق، وكل ما سواه هالك فانٍ باطل. كما قال عليه السلام: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

ألا كــل شـــيء مـــا خـــلا الله باطـــل

وأما الكلام على الوجه الثالث من طريق المعرفة.

فقيل: إن الحق سبحانه، اختار هذا الاسم أعنى «الله» لثلاثة أشياء.

أحدها: لذاته، فهو خاص به لا يشاركه فيه أحد غيره، لا بالمجاز ولا بالحقيقة، لما فيه من الأسرار والحكم والمعاني، ومن الاختصاص والتعظيم.

الثاني: أنه جامع للمعاني اللطيفة، والصفات الشريفة، فإن غيره من الأسماء فيه معنى واحد، أو معنيان يختص به، كالخالق والفاطر، والمخترع، والمحدث، والمبدئ، والمبتدع، وما ماثل ذلك كله

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١١٦، ١١٧.

بمعنى واحد.

وإن كان لا يخلو كل اسم من خصوصية ما يمتاز بها، ومثل الرازق، والمنعم والمحسن، والمتفضل والمعطى، والجواد، والكريم كل ذلك أيضا الغالب عليه معنى واحد، وسائر الأسماء والصفات قد يتعدد لفظها، ويتفق معناها.

وقد لا يتعدد، ويختص بمعنى واحد، واسم الله معناه لا يحصى ولا يعد، ولا يحصر ولا يحد.

وكل الأسماء راجعة له مضافة منسوبة إليه، ومشيرة بخواصها في الحقيقة عليه، وتعرف به جميع الأسماء والصفات، ولا يضاف هو إلى شيء سوى الذات.

الثالث: اختصاصه بأسرار ليست في غيره من الأسماء والصفات، وفضله وعظمه وأسماؤه، وصفاته، كلها فاضلة عظيمة، إلا أن هذا الاسم له تخصيص زائد تام كامل على سائرها.

كما أن التوراة والإنجيل والزبور والصحف والفرقان، الكل كلامه عز وجل ولكنه اختص منها القرآن وفضله على سائرها.

فكذلك هذا الاسم من بين أسمائه وخصوصيته وفضله وشرفه، فمن خواصه أنه في ذاته اسم كامل في حروفه تام في معناه خاص بأسراره مفرد بصفته.

فكان أولا «الله» فحذف منه الألف فبقى «لله» ثم حذفت منه

اللام الأولى فبقى «له» ثم حذفت اللام الثانية فبقى «هو».

فكان كل حرف منه تام المعنى، كامل الخصوصية، لم يتغير منه معنى، ولا اختلف بتفريق حروفه منه فائدة.

ولا نقصت منه حكمة، ولكل لفظة منه معان عجيبة، مستقلة بذاتها غريبة.

وسيأتي الكلام على معنى هذه الألفاظ وعلى حروفها آخر هذا القسم إن شاء الله تعالى مبينا وغيره من الأسماء كلها ليس كذلك أمرها.

فإنه إذا حذف شيء من حروفها، أو فرق بعضها من بعض، اختلفت معانيها،واعتلت أساميها، وفسدت أحكام حكمها، ونقصت فائدتها.

فلهذا كان هذا الاسم جامعا شاملا، تاما كاملا، على الجملة والتفصيل ولم يؤثر تفصيل حروفه، ولا تفريقها، ولا إفرادها في شيء من جملة معانيه.

ولا أخلت بشيء من أسراره، ونقصت تجزئته شيئا من كله.

واعلم: أن الأسماء الحسنى هي ألف اسم منها ثلاثمائة في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور، وواحد في صحف إبراهيم، وتسعة وتسعون في الفرقان.

قد جمعت معاني تلك الأسماء كلها، وأدخلت في التسعة والتسعين اسما التي في القرآن واحتوت عليها، واشتملت على فضائلها وأسرارها وثوابها.

وأن الأسماء كلها التي في جميع الكتب أولها، «الله».

ولهذا كان لهذا الاسم أكثر جريان وتذكرة على ألسن الناس في جميع الأمور، من كل ما يحاول من الأشياء، لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الأسباب كلها، فبدأ فيها ببسم الله، قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وقال: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾[4].

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[5].

---

(١) سورة هود: الآية ٤١.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤.
(٣) سورة الانعام: الآية ١١٨.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٢١.
(٥) سورة الكهف: الآيتان ٢٣، ٢٤.

وقــال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1]، وقــال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾[3].

وكل ذلك حضنا على ذكر هذا الاسم، وسيأتي الكلام على ذكره في القسم الثاني من هذه الرسالة مبينا مفصلا إن شاء الله تعالى.

ثم إنه أول الأسماء الحسنى، وجعل افتتاح كل سورة من القرآن: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

وفي ذلك معنى لطيف لكونه أول الأسماء، والرحمة أول الأشياء، كما ورد في الحديث الصحيح «إن الله قال أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم سبقت رحمتي غضبي».

وبين الإمامان رضى الله تعالى عنهما مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي أن هذا الاسم اسم الله تعالى ليس فيها كاملا، وإنما فيها بعض الاسم وهو «لله» بلام الملك.

وفرق بين الاسم وبين لام الملك، فإنه لا يصح عنده اسم الألوهية إلا بكماله، وكماله لا يكون إلا بالألف، وهو أصل الاسم لكونه أول الأشياء في العدد، وفي اسم الأحدية وأول الحروف ولما فيه من الأسرار كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في موضعه.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤١.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

واسم الألوهية عبارة عما في وجوه قلوب الخلق، ووجوه أبدانهم متوجهة إليه بالعبادة.

وهو الإله المعبود، المستحق للعبادة ظاهرا وباطنا، بقـــوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[1] فنصفها ألوهية ونصفها عبودية.

ورد الشافعي أن ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ من أم القرآن، ومن لم يسم فيها نقصت صلاته ولم تتم وفي إعادتها عنده قولان، وأن من دعا بهذا الاسم فقد دعا بجميع الألف اسم التي في جميع الكتب المنزلة.

ويجوز للعبد السالك أن يتخلق بسائر الأسماء والصفات غير هذا الاسم المنفرد فإنه للتعلق لا للاتصاف والتخلق، قال الله تعـــالى: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[2]، وقرء بثلاث روايات {تعلمون} {وتعلمون} {وتعلمون} بجميع ثلاث معان، علمه، وتعلمه وتعليمه.

والعلم نور في ذاته،فإذا عمل به صار نورانيًا في ذاته ولغيره، والعلم عقيم فإذا عمل به أنتج.

ومعنى ربانيين متخلقين كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «تخلقوا بأخلاق الله» وقال عليه السلام: «إن لله مائة خلق فمن

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

تخلق بواحد منها دخل الجنة».

والتخلق بالأسماء جائز، وتصير أوصافا للسالك في حال سلوكه، ورياضته على وجه التخلق والتشبه، لا هي هي عينها وذاتها، ولكن العبد يتصف بصفة سيده، كالغفور، والصبور والستار والرحيم، والجواد، والفاضل، والكريم، والجليل والرؤوف، والعادل، والحليم.

وما أشبه هذه الأسماء، إلا أن خاصية الألوهية في كمال الصفات، وتنزيه الذات عن التغيرات ليست إلا لله وحده، ولا مشابهة بين القديم.والمحدث إذا تخلق بأخلاقه فإن صفات الحق تعالى قديمة أزلية منزهة، لا تصير للعبد حقيقة. لأن الإله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾[1].

ولا يشبهه شيء، والمماثلة منفية عن الله تعالى، وإنما يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف ويشاركها من حيث الاسم، في عموم الصفات، ولا مماثلة مطلقة من كل وجه، ولا تامة على التحقيق، ولا مناسبة كمناسبة الجسم لمكانه وحيزه، والجوهر لجوهره ومحله.

وإنما الإشارة إليه بالجواز، على وجه الاتساع في اللغة في المجاز والحقيقة وغير ذلك.

فوقع المجاز في التشبيهات، وكمال حظه من جهة التنزيه على

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

الشدة والغضب والشهوات، والترقي من حظوظ هوى النفس وانسلاخه من عوائد الصفات المذمومة، إلى أوصاف التنزيهات، كما تنسلخ الحية من جلدها حتى لا تعود إليه.

ولا يبقى في القلب متسع لغير الله تعالى، وفرق بين هو هو وكأنه بكاف التشبيه.

وإنما كان سعادة العبد وخصوصيته في التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته بقدر ما يتصور في حقه أن يتصف بمحاسنها إلى أن يكون العبد ربانيا، أي قريبا من الرب جل وعلا، ويصير رفيقا إلى الملأ الأعلى، المنزه المطهر المزكى من الملائكة.

فإنهم على بساط من القرب، فبشبهه بصفاتهم، ينال القرب بقربهم بقدر ما ينال من أوصافهم المرضية، المقربة لهم إلى الله تعالى.

والمراد قرب الدرجات والمقامات، لا قرب الجهات والمسافات.

ومهما اقتدى بالملائكة وتشبه بأخلاقهم، كان أبعد عن البهيمية وأحوالهم، وأقرب إلى الملائكة وأوصافهم

[العلم والمعرفة]

والملك قريب من الله والقريب من القريب قريب، وكلما كانت علوم العبد ومعارفه أكثر وأوسع، كان أقرب إلى الله تعالى وأرفع، وعلى قدر ما يكشف له عن إدراك حقائق المعلومات على ما هي به وعليه، وتتضح له تفاصيل صفات العلوم من جهتها كشفا تاما، وإيضاحا يقينا.

ثبتت تعليقات معلوماته بعلمه، وبقيت ودامت وصحت وتبين كمالا للنفس في حياتها وبعد مماتها.

وفي استيلاء العلم على العلوم نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية، لإحاطته عليها بعلومها، فلا يلحقه بعد ذلك زوال ولا انقلاب ولا تغير ولا نقص.

وحينئذ يكون قد تمكن قربه من الله تعالى، وزادت معرفته، ونارت بصيرته، ورسخ توحيده.

وذلك من حيث أن لله تعالى دائم باق، ولا يلحقه زوال، ولا نقص ولا تغير، ولا تقبل صفاته شيئا من التغيرات، مما يلحق المحدثات.

فإن قرب الحق جل وعلا بالعلم والقدرة لعامة المسلمين، وقربه باللطف والنصرة لخاصة المؤمنين، وقربه بالأنس والشهود للأولياء والعارفين، وحقيقة القرب من الله تعالى.

فقد حس الأشياء من القلب بصدق الضمير إلى الله سبحانه وتعالى.

وأقرب ما يصل العبد به إلى الله تعالى كمالات النفس برياضة العلم، إلى الأخلاق الحميدة، وتنزيها بالآداب السنية المفيدة، بالرياضات العقلية الحسنة السريرة، وهي ثلاثة أشياء:

أولها: زيادة المعرفة بالعلم والتقوى.

الثانية: الحرية من رق الشهوة والهوى.

الثالثة: تزكية النفس بالتخلق بأخلاق المولى.

فإن أشرف المعرفة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، وأشرف الحرية الخروج عن رؤية النفس ودعواها بالكلية، وأشرف تزكية النفس الاتصاف بكل خلق وأدب حسن عقلا وشرعا.

فيكون المتصف بهذه الأوصاف مخصوصا بالدرجة العليا والمقام الأسني متصفا بصفات الكمال الملكي، متنزها عن صفة النقص البهيمي، منسلخا عن مذموم ظلمة أوصافه البشرية، مقدسا عن غلبة الشهوة والهوى والشره الطبيعي.

فعند ذلك تحصل له نسبة القرب بينه وبين نسبة الملائكة بالوصف العقلي النوراني، ويبعد عن جنس وصف الحيوان البهيمي.

وتقع المناسبة بالشبه والمساواة والمشاركة في الصفات لفظا، لا كمالا حقيقة، لأن النقص موجود في الحدث، والكمال حقيقة فيمن لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته.

وإن كانت النسبة والمشاركة والمشابهة في الصفات، لا توجب المماثلة في حقيقة الذات.

لأن المشاركة في كل صفة، لا توجب المماثلة في كل وجه، لأن الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد.

إذ السواد يشارك البياض في العرضية واللونية والإدراكية، وليس المثل كالمثل به، ولا المشبه كالمشبه به.

وبيان القديم من المحدث، أعلى من التباين بين السواد والبياض.

وقد روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها لنها سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»، وبذلك وصفه الله سبحانه كما في كتابه بأنه رؤوف رحيم، وعدل، وهاد وجواد، وكريم، وعفو، وغفور، وستار، وحليم.

فأكمل الله له جميع الأخلاق الكريمة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

وقال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة».

وفي رواية أخرى: «من حفظها دخل الجنة» والناس في إحصائها على ثلاثة أصناف.

صنف أحصاها تصديقا واعتقادا ورواية ومقالا.

وصنف أحصاها حفظا وعدا ودراية وسلوكا وحالا، وصنف أحصاها ذكرا وحفظا وعلما ومحافظة ومعرفة وتخلقا وكشفا وشهودا وتعظيما وإجلالا.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

وكل طائفة من هذه الأصناف الثلاثة. قد وعدهم الشرع بدخول الجنة، ولكن جنة كل صنف منهم على حسب علو منازلهم، ورتب أحوالهم، وتمكين معرفتهم، وقوة يقينهم وعلى قدر ما كشف لهم، من فهم أسرار الأسماء والصفات، وتخلقوا بها، وتحققوا فيها.

وشاهدوا من تجلى صفات الذات، فإن الإحصاء الذي ورد فيه الترغيب، هو مطلق يتحمل التخصيص والتعميم.

وفيه إشارة إلى قول النبي ﷺ «إن في الجنة لمائة درجة وإن ما بين الدرجتين لكما بين السماء والأرض أعدهن الله تعالى للمجاهدين في سبيله».

وفيه دليل ايضا: على أن من أعطى اسما من أسماء الله تعالى حقه كما يجب جاز درجة، ومن أحصى الجميع جاز الدرجات كلها.

فمن اقر بفضلها وقراها فهو المسلم، وله الإفادة، ومن عرفها ودراها فهو المؤمن وله الزيادة، ومن علم معانيها، وعمل بمقتضاها، واتصف بها، فهو العارف وله المشاهدة.

فمن عرف هذا الاسم، اقيم بشواهد الهيبة والجلال، وخص بمزيد القربة والكرامة والأفضال.

ومن انكشف له سر معنى حكمته، وانفصلت عنه رعونة البشرية، ولاحت له هيبة جلال عز الربوبية، وتحقق له محض ذلة العبودية، فإن حقيقة اسم الإلهية أدلال الإلهية.

والألوهية صفتها العظمة والكبرياء والعزة والعلو وإطلاق القدرة والاستغناء، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾(١).

وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾(٢).

[الله الأسم الأعظم]

وهو الاسم الأعظم، فإنه روى في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه سئل عن اسم الله الأعظم، فقال «اسمه الله الحي القيوم» وهو الاسم المقدس المنزه المكرم، اسم ذاته، المنعوت بصفاته، المخصوص بالتقديم على الأسماء والتشريف والتعظيم.

وقد تنزل الأسماء منزلة الصفات، وتنزل الصفات منزلة الأسماء، اتساعا في الألفاظ، وتجمعها كلها صفة الألوهية.

واعلم: أن مجموع صفات الله تعالى في إدراك عقولنا، وفي مفهوم علومنا على ثلاثة أضرب:

منها: سمعية، ولا يجوز إطلاقها، ولا إثباتها، إلا بعد ورود الإذن بإطلاقها، ولا يجوز لأحد، ولا يجوز أن يسمى الله سبحانه باسم غير ما سمى به نفسه، أو أذن به، أو سماه به رسول الله ﷺ، واجتمعت عليه الأمة.

ولا يجوز أن يسمى بما لم يجز في صفته، مثل عاقل، وفقيه،

---

(١) سورة الرعد: الاية ١٦.
(٢) سورة الأنعام: الاية ٩١.

ولبيب، وسخى، وشبه ذلك، وكره مالك الدعاء بيا سيدي، أو يا حنان، أو أن يسمى خليل، أو حبيب، أو صفي، جميل، أو مليح.

ولا يجوز أن يطلق عليه، أو يضاف إليه، وإلى أسمائه الحسنى ما ذكره عز وجل في كتابه كقوله: (خادعهم، ومكر الله، الله يستهزأ بهم، ويضل الله).

وإنما ذكر ذلك تعالى على المقابلة والمكافأة والمجازاة لهم على فعلهم، بإعادة أوصافهم إليهم، وهي من أوصاف الأفعال والجزاء.

ومن الأسماء التي نفاها الله تعالى عن نفسه، ونزه ذاته العلية، وصفاته القدسية عن الاتصاف بها.

ومنها: صفات ذاتية، كان موصوفا بها في الأزل،وهو موصوف بها فيما لا يزال، ويستحيل أضداد ذلك، كحي، وعالم، ومريد، وقادر، وسميع، وبصير ومتكلم، وأسمائه الذاتية من الأسماء الحسنى.

ومنها: صفات فعلية، تسمى بها الباري سبحانه، لصدور الأفعال منه، فإن المحدث يتعلق بكلامه تعالى، بقوله كن، وكن هي الأمر بالتكوين، والقدرة توجد الفعل وتوقعه وتظهره.

والعلم محيط به، ويرتبه ويكشفه، والإرادة تخصصه وتبدعه وتتقنه، والسمع والبصر والكلام، يقتضيان كمال المتصف بها، ولا تتعلق قدرة المحدث ولا إرادته، ولا إحاطة علمه بالقديم، ولا تتعلق قدرة الله تعالى وإرادته بذاته ولا بصفاته القديمة.

وإنما تتعلق بإيجاد المحدث وتخصيصه.

والحق سبحانه يعلم ذاته وصفاته، ويبصر نفسه، ويسمع كلامه.

[معانى الأسماء الحسنى]

وقد قسم العلماء معاني الأسماء الحسنى على أربعة اقسام:

[الأول]

الأول من أسمائه، هو ما يدل على الذات الكريمة الجليلة المنزهة القديمة العظيمة، وذلك كل ما دلت التسمية به على وجود ذاته وهو راجع إلى نفسه، كشيء وموجود، وذات. وإله وقديم، وباق، ودائم، وأزلي، وقيوم، وواحد، وفرد، ووتر، وصمد، وأول، وآخر، وظاهر، وباطن، وحميد، وحق.

وما هو من هذه الأسماء فهو اسم الذات العلية، ويقال انه هو الاسم وهو المسمى.

[الثاني]

والثانى من أسمائه، وهو راجع إلى صفة ذاته القديم، وهو مالا يقال انه هو ولا انه غيره، ولا الاسم هو المسمى.

وذلك كل ما دلت التسمية به على صفة ذات نفسه، وهي تنقسم على أربعة اقسام:

منها: صفات تختص بنفس ذات الباري سبحانه وتعالى كالحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر والكلام.

ومنها: صفات تختص بالإرادة، كالرحمن، والرحيم، والغفور والعفو، والحليم، والودود، واللطيف، والصبور، والكريم، والرءوف، والجواد، والشكور.

ومنها: صفات تختص بالقدرة كالقوى، والغالب، والقاهر وذي القوة المتين، والقادر، وما هو من هذه الأسماء.

[الثالث]

والثالث من هذه الأسماء، وهو راجع إلى صفة أفعاله، وهو ما يقال: أنه غيره والاسم فيها غير المسمى.

وذلك كل ما دلت التسمية به على صفة فعل من الأفعال، كبارئ، ومصور، وخالق ووهاب، ومحي، ومميت ، ورازق، وباسط، وقابض، ورافع وخافض ومعز، ومذل وحكم وعدل ومحسن، ومفضل وفتاح، وباعث، ورقيب، ووارث ومجيب وكاف، ومقيت، ومعافى، وشاف، ومعطى، ومانع، ومعيد، وهادى، ورشيد، ومقدم ومؤخر، وتواب، وبار، ومنتقم، ومعين، وولى، ومبين، وما هو من هذه الأسماء.

[الرابع]

والرابع من أسمائه، وهو راجع إلى صفة التنزيه، ويقال: إنه هو هو والاسم والمسمى فيها واحد، كأسماء الذات.

وذلك كل ما دلت التسمية به على نفى النقائص كلها عنه جل وعز، كعزيز وجبار، ومتكبر، وكبير، ومولى، ومتعال، وذي الجلال

والإكرام، وجليل، وعظيم، وعلى، ومؤمن، ومهيمن، وغنى وقدوس، وسلام.

وما هو من هذه الأسماء.

«الله»

وهذا الاسم المفرد جل ذكره وهو جامع لجميع الأشياء كلها، وهي كلها شارحة له مشيرة إليه، ومعبرة عنه.

والعالم كله، علويه وسفليه، بما فيه من عجائبه وغرائبه، صادر عنه، وهو على قسمين:

عالم أمر، وعالم خلق.

وعالم الأمر، وهو الحاكم على عالم الخلق، إذا كان يلي اسم الألوهية في المرتبة العليا، وكل ما عبر عنه باسم الألوهية فهو.

والأسماء كلها لا تغاير فيها من حيث انها أسماء.

وإنما التغاير في مقتضياتها، وفي المفهوم من ذلك حسب قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1].

وإن تعددت الأسماء فالمقصود منها واحد، وهو الله، وكل الأسماء هي صفته ونعته، وهو أولها واصلها، والأسماء كلها سرت في العالم

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

سريان الأرواح في الأجسام، وحلت منه محل الأمر من الخلق، ولزمته لزوم الأعراض للجواهر.

فإنه ما من موجود دق أوجل، علا أو سفل، كثف أو لطف، كثر أو قل، إلا وأسماء الله جل وعز ذكره محيطة به عينا ومعنى.

ومقتضى اسم الألوهية جامع لجميعها، كالأسماء المحيطة به عينا ومعنى، ومقتضى اسم الألوهية جامع لجميعها، كالأسماء المحيطة بالعوالم، المنقسمة إلى أمر وخلق وكان لها مقام الروح من الجسد.

ومن لطف الله تعالى. أن أظهر من علمه وقدرته بهذا الاسم ما احتملته عقول خلقه، ليصل حبله بحبلهم، وبفضله فطرتهم التي فطرهم على معرفته.

فأشهدهم مشاهدتهم، فشهدوا بها على أنفسهم حين ألست.

ثم أشهدهم الآن مشاهدتهم حال وجودهم بان أظهر لهم من أسمائه اسمه الأعظم الله.

وعرفهم به من اجله، وخفف ذكره على ألسنتهم، وأجراه دائما وسهله عليهم، واظهره لهم ظهورا بينا في: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

فمن شدة ظهوره خفي حتى لم يوصف، ومن كثرة ذكره نسى حتى لم يعرف.

فبه تستقيم الأمور، وبذكره يسهل العسير، وتقضى الحوائج وسائر الآراب، ويبتدأ به مناولة جميع الأسباب.

وهو الذي لم تسعه سماء ولا أرض، ولا عرش ولا كرى، سوى مشيئته، ومن شاء من قلوب من سبقت له منه الحسنى، وبقدر ما أودع الله تعالى منه في قلوب عباده المخلصين المختصين المشرفين.

بإضافة عبوديتهم إليه، وبكبر قدره، ويكشف لهم منه سره، تعالت أسماؤه، وجلت صفاته وعظمت ذاته قال الشاعر:

هـو الحـي والقيـوم جـل جلالـه	فعظيم عظـم الكبريـاء رداه
أغنـــى وأقنـــى واســـتنار بنـــوره	كـــل الكيـــان فجـــوه فســـماه
فـــالأرض مشـــرقة بنـــور جمالـــه	والفضل منفطر بهدى هـداه
الله الله العظـــــيم ممـــــــدنا	بقـــوى يبلغنـــا العلـــوم الله

واعلم أن جميع صفات الله تعالى هي صفة الألوهية وقعت لها.

ولا يقال فيها أنها هو، ولا هو هي، ولا غيره.

لأن الله تعالى واحد قائم بذاته، مستغن عن غيره بصفاته، وصفاته مطلقة قديمة قائمة به، غير متناهية بحسب قدم ذاته، وعدم تناهيه.

وهو واجب الوجود بنفسه، وواجب له الاستغناء، واستحال عليه الاحتياج لم تزل صفاته موجودة معلومة قائمة به.

ولا يجوز وجوده سبحانه وعدم شيء من صفاته، ولا وجود

صفاته وعدم ذاته ولا مباينته لشيء، منها ولا مغابرته عنها على وجه من الوجوه.

لو كان هو هي لكانت الذات هي الصفات، والصفات هي الذات.

ومن المحال أن تكون الصفة دالة على غير الموصوف، أو تعرى إحداهما عن الأخرى، لأن الصفة هي المعنى، والموصوف هو الذات.

وموصوف بلا صفة محال، وصفة بلا موصوف أيضا محال.

ولو كانت أيضا هي هو للزم أن تكون الصفة هي الموصوف كما ذكر، ودل أيضا على إثبات الصفة ونفى الذات عن صفاتها، أو خلو الصفات عن ذاتها، أو تجرد إحداهما من الأخرى.

ومن شرط الذات لزوم الصفات.

ومن شرط الصفات لزوم الذات، فإن الصفات لا تقوم بذواتها، ولا بأنفسها، ولا تستغني عن الموصوف كما أن الذات لا تفارق صفاتها.

ولا بد من قيام احدهما بالأخرى ضرورة واجبة، وحقيقة لازمة، لا تنفك عنها كتعلق الشرط بالمشروط.

وفي بطلان احدهما وعدمه، بطلان الآخر ونفيه وفي إثبات احدهما ووجوده، إثبات الآخر ووجوده.

لأنه لا يتصور وجود حياة إلا في حي، ولا وجود علم إلا في عالم ولا وجود إرادة إلا في مريد.

وكذلك القدرة، والسمع، والبصر، والكلام وسائر الصفات لا تعقل إلا في موصوف.

ولو كانت هي غيره لكان لا يخلو، إما أن تكون زائدة على الذات أولا فإن كانت زائدة عليها فلا يخلو، فإما أن تكون قائمة بذاتها أو بغيرها، فإن كانت قائمة بذاتها. فإما أن تكون قديمة أو محدثة، فلو كانت الصفة زائدة على الذات، لكانت محلا للحوادث، ووجب لها ما يجب للحوادث، من لزوم التغيرات وإن كانت الزائدة، فإما أن تكون نفس الذات وعينها، أو غير الذات.

فمحال أن تكون نفس الذات وعينها،لما يلزمها من أن تكون هي هو، وإن كانت غير الذات، فإما أن تكون قائمة بذاتها، أو قائمة بغير، فمحال أن تكون قائمة بذاتها، وذلك لتعلق القديم بالقديم، مع المباينة والمغايرة.

وليس ذلك من شرط التوحيد،ولو كانت أيضا محدثة، لم تخل من ثلاثة أحوال:

إما أن تكون حدثت في ذات القديم، أو في غيره، أو في ذاته.

فلو حدثت في ذات القديم، لكان متغيرًا لحدوثها عن صفات كان عليها ولقامت به تغيرات، من صفات إلى صفات، ودلت الدلالة على الحدث، لأن ذلك من صفات الأجسام المحدثات.

ولو حدثت أيضا هذه الصفات في غيره، لوجب أن يتصف الموصوف بصفة في غيره.

ولو اتصف الموصوف بما في غيره من الصفات،لوقعت المساواة بين سائر الموصوفين، من قديم ومحدث، ولاستحالة أن يوجد في العالم مختلف الصفات، لأنه كان يكون كل جسم حيا، وعالما، ومريدًا، وقادرًا.

وبما قام بغيره من سائر الصفات، ويتصل ذلك بأن يكون ما وجد بالمحدث من الصفات هي صفات القديم.

وكذلك ما وجد بالقديم من الصفات تكون صفات المحدث، موجبا له ما يوجب له من الأحكام، فاستحال أن تكون صفات الله تعالى موجودة لا في ذاته، لأن الصفات لا تقوم بذوات أنفسها، ولا تستغني عن الموصوف، لأنه لا يتصور في ضرورة العقل وجود صفات إلا في موصوف.

فكما وجب للصفة القديمة القدم في الأزل، كذلك وجب لها البقاء فيما لم يزل، لاستحالة التغيير على الموصوف القديم، واستغنائه بصفات الكمال والتنزيه والإجلال.

فإن صفاته سبحانه ليست غيره ففصلها منه، ولا هي هو فأفردها الذكر عنه، دون نسبتها له، وهي لا هي هو، ولا هي غيره.

والفرق بين صفة القديم وبين صفة المحدث، تقدم من ذاتها

عند وجود ضدها بتغيرها، كعدم الحركة عند وجود السكون، ومثله ضده في جميع الصفات، والقديم لا يجوز عدمه، ولا عدم شيء من صفاته، ولا يجوز عليه التغيير وهو متنزه عن الأضداد والأنداد، وعن صفات المحدث.

وكذلك الفرق بين الوجود المطلق، والوجود المقيد.

فالمقيد لا يخلو من الصفات العرضية.. كالحركة والسكون، والموت والحياة والجهات والحدود، والاجتماع والافتراق، والتغير بالأضداد ومالا يخلو من الحوادث ولم يسبقها، فهو حادث مثلها؟

وكل الحوادث لابد لها من محدث يحدثها، وهو ليس كمثلها ولا يشبهها.

فلو كان مثلها وشبهها، لوجب له ما يجب لها ولجاز عليه ما يجوز عليها، واحتاج إلى محدث، ويتسلسل، وما يتسلسل لا يتحصل.

والموجود المطلق، هو المنزه عن التغييرات العرضية، السلبية، الموصوفة بالصفات الثبوتية، الدائمة، الأزلية، ولو جاز عدمه، لبطل قدمه.

[الصفات]

وصفاته سبحانه صفات الكمال والعز، والاستغناء والجلال الذي لا يليق إلا به، ولا يمكن الحمل فيها، وأنه الواحد الذي لا يقبل التجزئة، ولا التأليف، ولا التركيب، وأنه القديم الأزلي، الدائم الذي لا أمد لمداه، ولا غاية لمنتهاه.

الغنى المطلق، الذي لا يتوقف غناه على غيره، كما كما لا يتوقف وجوده على غيره، فلا يحتاج في ذاته ولا في صفاته ولا في استغنائه ولا في فعله إلى أحد سواه، فصح عند العقلاء بالبرهان العقلي.

وثبت عند العلماء بالبيان النقلي: أن صفات الله تعالى قديمة أزلية منزهة قائمة بذاته القديمة العلية، المختصة بمطلق الوجود، المنزهة عن صفات الانحصار والقيود المقدسة عن جنس الكيفيات والجهات والحدود.

وهو المنفرد بالأحدية، المنعوت بالصمدية. الذي لا يتبعض وجود أحديته في الوهم، ولا يتحيز في الفكر، ولا يتكيف بالعقل، ولا يتخيل في الذهن، ولا يتمثل في النفس.

الموصوف في ذاته وصفاته، بصفة الاستغناء والكمال، والقدرة والتعظيم والجلال تنزه عن كل شيء محدث مقيد، هو الله الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

- قال الشاعر:

تباركت يا من لا يحاط بوصفه	فما قدر قولي واللسان كليل
بحق لقد نزهت قدما فمن لنا	بإدراك وصف والمرام طويل
ولو كانت السبع البحار ممدة	لوصفك لم يوجد لذاك سبيل
فأنت كما نزهت نفسك والذي	يفوه به فيك الأنام قليل

واعلم: أن جميع أسمائه وصفاته، لا يدخله الترتيب بقبل ولا بعد، ولا بأول ولا بآخر، ولا يتوقف بحد ولا زمان ولا يوصف

بالتعقيب ولا بالتقديم ولا بالتأخير.

فقوته كنه قدرته، وقدرته دوام بقائه، ومشيئته إرادته، ونظره سعة علمه، وعلمه مدى نظره.

وكلامه مطلق، لا على الترتيب، فيعلم بنظره، وينظر بعلمه، خزائنه في كلامه، وقدرته في مشيئته، يخلق بيده إذا شاء، وبكلمته إذا شاء، وبإرادته متى شاء، وبمعاني صفاته كيف شاء، ولا يضطر إلى الكلام ولا كلامه إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وصارت الأوائل والأواخر لديه كشيء واحد، وليس هي هو، ولا هي غيره، وقوله هو أمره، وأمره هو كلامه وكلامه نور، وهدى، وشفاء، ورحمة وفرقان، وقرآن.

وهو صفة له قديمة، والأمر غير الحق وقوله الحق، وله الملك، والأمر والخلق جميع المخلوقات، وأمره هو قوله: كن، وبكن كانت جميع المكونات من المخلوقات.

وبأمره كن كانت جميع المحدثات كلها، وصدرت منه ووجدت عنه وقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[1].

أي قبل الخلق ومن بعد الخلق كان أمره.

والأشياء كلها إنما ظهرت عن كلامه، والكلام هو الأمر، وهو صفة ذاتية قديمة، وصفاته كلها آحاد كاملات تامات، غير محدودة،

---

(١) سورة الروم: الآية ٤.

ولا مؤقتة، ولا مرتبة كالأوقات المرتبة.

إذ الترتيب في النعوت من وصف الخلق والأدوات، والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.

في كل الصفات صفاته قديمة بقدمه، وكائنة موجودة بعيانه، وليست هي ذات جهات فيتوجه بها إلى جهة دون جهة، ويدرك بصفة دون صفة، ولا ذاته ذات ذوات، فيقبل على مكان دون مكان.

ولا يضطره الترتيب على المخلوقات، ولا يتفكر في الأمور بأفكار محدثات فيشغله شأن عن شأن، ولا تدخل عليه الأعراض فيتغير عن مكان، ولا يخلق بآلة فيستعين بسواه، ولا تعجزه قدرة فيحتاج إلى مباشرة يديه.

لا يدركه الجهل لعلمه، ولا الفقر لغناه، ولا الذل لقدرته، ولا الضعف لقوته ولا الفناء لبقائه، ولا التعب لصلاح قدرته، ولا الملل لفعله، ولا الكسل لصنعه ولا البدء لمشيئته، ولا التغير لصفاته، ولا العرض لذاته ولا النقص لكماله.

سبحانه جلت قدرته، قال الشاعر:

سبحان من جلت صفات كماله — لكماله وجماله وجلاله
يعطي ويمنع والمحامد كلها — في منعه وعطائه وفعاله
والعبد محجوب التصرف جملة — معبوده أولى به وبماله
لا يستفيد ولا يفيد لنفسه — احد لنقص حياته ومثاله

فالحق سبحانه إذا تكلم أظهر، وإذا شاء قدر، ومتى أحب ظهر، وبأي قدرة شاء استقر، هو عزيز في قربه، وقريب في علوه.

حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة، وأظهر الإرادة بالقدرة.

أبرز القدرة بالحركات، وأخفى الصنع في الصنعة، وأظهر الصنعة بالأدوات.

وهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته، وقدرته غيب في قدراته، وإرادته حكمته، وحكمته شاهدة لمحكوماته، وهي مجاري قدرته، ومنعه سر في صنعته، وهو علانية مشيئته، ليس له شبه في كل صنعة، ولا له مثل في كل ماهية.

وفي هذا الاسم المفرد المتصف بالألوهية أربعة أحرف، ألف ولام ولام وهاء، كما قيل:

أحـــرف أربـــع بهـــا هـــام قلـــبي وتلاشت بهـا همومي وفكـري

ألـف قـد تـألف الخلـق بالصـنع ولام علـــى الملامـــة تجـــرى

ثـــم لام زيـــادة في المعـــاني ثـــم هـــاء بهـــا أهـــيم وأدري

ولكل حرف من هذه الأحرف معنى يختص به، كما أن لكل اسم من أسمائه تعالى معنى يختص به.

فالألف مشتق من الألفة والتأليف، ألف به جميع خلقه على توحيده ومعرفته بأنه إلاههم وموجدهم، وخالقهم ورازقهم.

قال الله العظيم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[١].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢].

فإنه تعالى كان ولا شيء معه كما هو الآن على ما عليه،كان ولا شيء قبله، ولا شيء بعده.

فكأنه كما قال: «كنت كنزا لم اعرف فأردت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني» وألف بين قلوب عباده، على محبته وعبادته وطاعته في الإيمان والتوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٣] وألف كلمتهم على الاعتراف بعبوديته، والإقرار بوحدانيته وربوبيته.

قال الله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾[٤].

قال الشاعر:

تبارك من فخري بأني له عبد ... وسبحانه سبحانه وله

ولا ملك إلا ملكه عز وجهه ... هو القبل في سلطانه وهو

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٧.
(٢) سورة لقمان: الآية ٢٥.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٣.
(٤) سورة مريم: الآية ٩٣.

وألف قلوب عباده بالفضل والإحسان، والعطاء، وجعله رزقا مقسوما لهم تارة قبضا، وتارة بسطا، قال الله العظيم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾[1].

[الحروف الهجائية]

والألف أيضا هو استفتاح لحروف المعجم،التي هي دلالته على معرفة المعاني ومفهومها، وهي كسوة لها،وصور تدل عليها غير حالة فيها ووضعت للمعاني، ولم توضع المعاني للحروف.

لأن معناها في غيرها، والمعاني معناها في مفهومها مقام الأرواح، والأحرف مقام الأشباح فجعلها الله لها صورا وأصدافا.

فالحروف لسان فعل الإنسان، لأنها فعل في مفعوله، ومعانيها علوم في معلوم.

واعلم: أن الألف هو أشرف حروف المعجم خطرًا، وأعظمها أمرًا، وأرفعها قدرًا، وهو آدم الحروف، والهمزة منه حواء، والمذكر من الكلام ولد،والمؤنث بنت.

والثمانية والعشرون حرفا متولدة من الألف، كجميع بنى آدم من آدم والحروف كلها من الألف، والأصل الألف، قائم منتصب مستو معتدل، ونقطة أصله إشارة لإثبات أولية الوجود، الذي هو ضد العدم.

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ٥٦-٥٨.

وهو المصطلح عليه عند أرباب أصول الدين بالجوهر الفرد، الذي هو عبارة عن إثبات موجود.

فلما أرادت أن تسمى باسم الألف، بعد تسميتها بصفة الوحدة امتد للتجلي والظهور، ونزلت نزول الأعلى على الأدنى،لتعرف وجود ذاتها بنفسها، فصارت ألفا.

وسميت بذلك لتوقف عوالم الحروف فعرف بالألف، فإنه روى انه أول ما خلق الله تعالى نقطة فنظر إليها بالهيبة فتضعضعت وسالت فسيلها ألفا، وجعلها مبتدأ كتابه، واستفتاح حروفه.

فكان أول استفتاح الحروف به لصدورها عنه، وظهورها به.

فكانت النقطة كنزا لم تعرف فتجلت ونزلت لتعرف بهم، ويعرفون بها، وينسبون إليها.

كما أن آدم عليه السلام خلق استفتاحا لذريته وأولهم، وعرفوا به، ونسبوا إليه فكانت الحروف أسرارا أودعها الله تعالى وبثها في آدم حين خلقه، ولم يثبها في احد من الملائكة.

فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات، وأنواع الكلمات ولها ظاهر وباطن، وحد ومطلع.

فظاهرها أسماؤها وصورها، وباطنها معانيها وأسرارها، وحدها تفصيلها وأحكامها، ومطلعها شهودها وكشفها.

فكل تركيب وتولية هو من الألف لتناول الحروف من فوائد أسرار المعاني، على حسب نفخه روح جوامع الكلم، وعجائب الحكم، وغرائب العلم.

وصورة الألف هو السر الذي تميز به آدم عليه السلام، وتخصص بسببه من تعليم الحق له جميع الأسماء كلها.

واعلم: أنه من كشف له عن معرفة سر الألف وتحقق به فقد خص بمعرفة سر توحيد الوحدانية وترقى إلى مقام معرفة سر توحيد الأحدية، ومن كشف له عن معرفة سر اللام المنسوب إلى الألف وتحقق فيه، فقد خص بمعرفة سر الرسالة النبوية.

وما أحاط بمعرفة أسرار جملة الحروف على الحقيقة والكمال بعد آدم سوى نبينا محمد ﷺ وعلى آدم وعلى ما بينهما من جميع النبيين والمرسلين.

ولذلك خص بإعطاء جميع حروف المعجم، وما حوته من جميع المعاني والعلوم والحكم.

فقال: «أوتيت جوامع الكلم» وقد يتحف الله سبحانه وتعالى من شاء من عباده ويخصه، ويكشف معنى سر حرف واحد أو حرفين أو أكثر على قدر تخصيصه وقسمته في الأزل.

فيتصرف بذلك في كل ما يريد من أمور دينه أو دنياه وتفعل له الأشياء على حسب تمكنه، وإحاطة علمه، وسعة معرفته وتكون

له خاصية يمتاز بها، وفي حقه كرامة أكرمه الله بها.

فإن لكل حرف من الحروف سر عجيب، وعلم غزير نافع مصيب، تكشف به مغلقات الخطوب، وتبلغ به جميع المراد والمطلوب، وتكشف به ملكات بديعة، وتصرف به أمور شريفة.

يعرفها الحكماء العقلاء، ويعرفها العلماء النبلاء، والألف في العدد واحد، والواحد استفتاح لجميع العدد وأوله.

وفيه إشارة إلى عمود التوحيد، الذي به قوام كل عالم في الوجود.

فكما كان الله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود الأول الموجود، ولا شيء قبله في الوجود، وسبقت أحديته جميع ما سواه.

كذلك الألف سبق واحد الأعداد وما بعده، وليس شيء قبله، فإن ابتداء الألف نقطة واحدة منفردة، وهي عبارة عن مركز قطب دائرة وجود عوالم الحروف.

كذلك نقطة وجود وحدة الموجود، الذي صدر عنه وجود العالم بأسره، وبها تستقيم دائرة العدل على القوام.

وهي أيضا عبارة عن إثبات الوجود الذي هو ضد العدم، ويعبر عنها بالجوهر الفرد، الذي لا يجوز عليه الانقسام، ولا حصر العدد، وهي محل قابلية للتهيؤ كالهيولى لجميع حروف صور الأشكال المحسوسة.

ووضع الدلالة على إدراك تصوير معاني المعقولة.

وهي أيضا إشارة لاسم وحدة التوحيد، الذي لا يجوز فيه اشتراك مع عقد التقليد.

ولهذا كان الإنسان الآدمي ألف القوام قائما معتدلا منتصبا، حسن القد والقامة على الاستقامة.

مخصوصا بالتشريف والتكريم، ممدوحا مثنى عليه بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾[1].

وقد شرف وفضل على أكثر المخلوقات حسبما ذكر الله في كتابه المبين قوله: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾[3].

فمن أشرف المخلوقات، وأفضل الموجودات وأكرم المحدثات.

فمن تشريفه وإكرامه، وتفضيله وإعظامه أن جعل الله تعالى مجمع البحرين، بحرا سفليا ظلمة الشهوات الحيوانية، وبحرا علويا نور العقل النوراني.

---

(١) سورة التين: الاية ٤.
(٢) سورة الإسراء: الاية ٧٠.
(٣) سورة البينة: الآية ٧.

وركبه في عالمين، عالم الأمر الروحاني، وعالم الخلق الجثماني، وجمع له في الركعة الواحدة من عمل جميع عبادة الملأ الأعلى من الملائكة أهل السبع سموات سبع أنواع من العبادات.

وجعل ثوابهم عليها عائدة إلى الآدمي بتضعيف الزيادة.

فمنهم قائمون أبدًا.

ومنهم راكعون أبدًا.

ومنهم ساجدون أبدًا.

ومنهم جلوس أبدًا.

ومنهم مهللون أبدًا.

ومنهم مسبحون أبدًا.

ومنهم حامدون أبدًا.

فهم لله عابدون دائما أبدًا لا يفترون، قد خلقوا مطهرين، منزهين، علويين، روحانيين، نور بلا ظلمة، وعقل بلا شهوة، ولطف بلا كثافة، ودوام بلا فترة، ونشاط بلا سآمة، وطاعة بلا مخالفة، وعبادة بلا حظ، وإخلاص بلا عوض، وخدمة بلا علاقة، وجمع بلا تفرقة.

وجعل هذا البشر برزخا قائما مستوى الخليقة، بين عالمي النور والظلمة.

فأيهما كان الغالب عليه، نسب في الحقيقة إليه.

فسبحان من ألف بين الضدين وجمع إليه صفات العالمين في هذا الآدمي الكريم، وجعل محل عقله ومعارفه وتوحيده ومحبته وأسراره: قلبه السليم، فهو الصراط المستقيم، والبرزخ المعتدل القويم، بالألف ألفه ووصله وجمعه وفرقه وفصله وقطعه، ألف كتابه بنقطة وخلق خلقه من نقطة، ويميتهم بقبضة، ويحيهم بنفخة، قال الشاعر:

إن الألـف لـه فضـل وتقدمـه	علـى الحـروف فـلا تبغـي بـه بـدلا
فيه العلوم خفت من كل معرفة	قـد جـل منفـردا بـالحق واعتـدلا
هـو قـائم أبـدا هـو واحـد عـددا	شكل الألف حوى التفصيل والجملا
حرف ومعنى هما بالسر قد جمعا	أصلا وفرعا بما بالوصل قد وصلا
فـاعرف سـرائره إن كنـت ذا أرب	واحفـظ دقائقـه تعلـو بـه نـزلا
ومثله مـه حـوى طبعـا ومعرفـة	روحا وجسما لـه وصـف سما فعـلا
كالعقل من ملك والطبع من نعم	يا حسن من علما يا بئس من جهلا

واللام الأول إشارة إلى لام الملك هو بعد حذف الألف عن كمال الاسم المفرد صار «الله».

قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾[1] الآية.

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢.

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾[2].

وقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[3].

وقال: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[4].

وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وأنباء على لام الملك، وهو أيضًا لام لوح العقل والفهم لمن شرح الله صدره، وخص قلبه وسره، ونور معرفته بنور اليقين في تحقيق مشاهدته.

وهو أيضًا لام لوح النبوة والرسالة لاتساع الصدر وشرحه، وتنويره بمعرفة أسرار الوحي، وحمل أعباء حكم التنزيل وأحكامه.

واللام الثاني. هو إشارة إلى لام الملك وذلك بعد حذف اللام الأولى صار «له».

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٨٤، ٨٥.
(٢) سورة النساء: الآية ١٣١.
(٣) سورة يونس: الآية ٥٥.
(٤) سورة الروم: الآية ٤.

تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[2].

وقال: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[4].

وقال: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[5].

وقال: ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[6].

وقال: ﴿ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ ﴾[7].

ونفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وأنباء إلى لام الملك، فهو الملك، والمالك، وله ملك السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من العوالم كلها، علويها وسفليها، قال الشاعر:

سر الألف سرى في اللام متحدا　　فافحص عليه ولا تنظر إلى الصور

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٥.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٠.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٧.
(٦) سورة الزمر: الآية ٤٤.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

سـر المعـارف في اللامـين مجتمعـا	كالشمس طالعة والفجر في تسحر
والـلام تخـبر أن الخلـق في طـرف	مـن الألـف بـلا ريـب ولا نكـر
فاطلب وجيزة ما في اللام من حكم	وافهـم معانيهـا إن كنـت ذا نظـر
تجـد حقيقـة مـا قـد كـان مسـتترا	كنزا عظيما خفي عن سائر البشر

والهاء هي هاء الإشارة إلى مطلق وجود الحق، وإثبات وحدانيته، وإحاطته بجميع الأشياء كلها علما وإرادة وقدرة وملكا وملكا.

وهي من هاء هيبة البهاء، وعظمة الألوهية، وذلك بعد حذف اللف واللامين بقى «لا».

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[2]، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[3].

وقال: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[4].

وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٠.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٣) سورة الإخلاص: الآية ١.
(٤) سورة الحديد: الآية ٣.
(٥) سورة الحشر: الآية ٢٢.

وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[1]، الآية.

وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾[2] الآية.

وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وأنباء إلى هاء الوترية، وإفراد الألوهية، وإلى اسم مضمر يبينه ما بعده عند أهل الظاهر، لاحتياجه إلى صلة تعقبه، ليكون الكلام الذي أفاده عندهم.

وأما عند أهل الحقيقة على ما هو به حقا من صفاته، فإن ذكر «هو» عندهم لم يسبق منه إلى فهمهم غير ذكر الحق فيكتفون به عن كل بيان يتلوه.

وذلك لتمكن معرفتهم، وسعة علمهم، وقوة إدراك فهمهم.

واستكمالهم في حقائق القرب، واختصاصهم بصفاء ضمائر القلب، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم، واستغراقهم بأفراد الاسم المفرد في أذكارهم، فإن هجاء «هو» إذا مكنت الضمة من الهاء حرفان، هاء وواو، فالهاء تخرج من أقصى الحلق، وهي من حروفه، والواو تخرج من الشفة، فهو مجموع من بين ابتداء أول المخارج وانتهاء آخرها.

وفي ذلك إشارة إلى إثبات وجود موجود معلوم، الذي هو ضد

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٢) سورة الحشر: الآية ٢٤.

النفي المعدوم، وتنبيه على ابتداء كل حادث منه، وانتهائه إليه، وليس له هو ابتداء، والهاء هي من حروف الحلق، التي لا تنطبق عليها اللهوات ولا تنضم عليها الشفتان.

[أول الأسماء الحسنى]

وهو أيضًا أول الأسماء الحسنى وآخرها، وبه كمال المائة اسم.

فإنه مضمر مستتر في نفس الهاء المكتوبة أعنى الله، فإن بالهاء يتم ذكر الله، فأول الاسم المفرد ألف، وآخره الهاء، وبه كماله ومفهوم بيانه وتمامه.

وبه يستفتح الدعاء والذكر هو أول الأسماء الحسنى وآخرها.

فأولها يا الله، وآخرها يا هو، فهذا الاسم هو الأول وهو الآخر، بدأ به وختم به.

وقد ذكره سبحانه وتعالى في جملة آيات من كتابه فقال: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

وقال: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ﴾[3].

وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٥.
(٢) سورة الحديد: الآية ٣.
(٣) سورة غافر: الآية ٦٥.

ٱلْقُدُّوسُ﴾[1] الآية.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[2].

هـو أول هـو آخـر	هـو بـاطن هـو ظـاهر
هـو واحـد هـو مالـك	هـو عـالم هـو قـادر
هـو خـالق هـو رازق	هـو عـادل هـو آمـر
هـو حـاكم هـو صادق	هـو مخـبر هـو ذاكـر
هـو محسـن متفضـل	هـو راحـم هـو غـافر

وذكر عن بعض الأئمة من العارفين أنه كان لا يدعو إلا به ولا يسأل الله شيئا إلا به.

فيقول يا هو يا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو، أسألك كذا وكذا.

وروى أن أبا القاسم الجنيد رحمه الله تعالى قال: لبعض خواص أصحابه: إن اسم الله الأعظم هو «هو» لأن الله تعالى أظهره أولا في اسمه الله، وأخفاه آخراً في هاء أسمه الله، فهو هو.

فمن شدة ظهوره استتر وخفي حتى لم يعرف، من كثرة ذكره ظهر ونسى ولم يوصف.

ولقد ذكر بعض العلماء بالله، المحققون في معرفة هذا الاسم المفرد، أن من ذكر الله سبحانه ولم يحقق إظهار الهاء منه بتمكين

---

(١) سورة الحشر: الآيتان ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة الحشر: الآية ٢٤.

حركة ضبطها فليس بذاكر لله، ولا ذكر الله قط.

وجعل إظهار الهاء شرطا واجبا لازما في ذكر الله في حالة الذكر والتكبير في الصلاة في الأذان، والتلاوة.

وكان بعض الشيوخ ممن يقتدي به في علم الشريعة، وفي علم الحقيقة ظاهرًا وباطنا، يقول لأصحابه من اصابته منكم شدة، أو صدمته محنة، فليقل «الله الحي القيوم» فإنه الاسم الأعظم.

[أصناف أهل التوحيد]

وروى: أن أهل التوحيد أربعة أصناف في ذكر توحيدهم الواحد، الصنف الأول: «لا إله إلا الله» بين النفي والإثبات، نفى الأوهام عن الإفهام، وإثبات الواحد عن الضد والند.

والصنف الثاني: قالوا «الله» اقتصروا على ذكر الاسم المفرد من غير نفى إثبات في إثبات ورأوا أن الإثبات، بعد النفي وحشة وجفاء.

الصنف الثالث: قالوا «هو هو» حق بحق إثبات الإثبات، وهو الذكر الدائم الخفي عن اللسان، وهو ذكر القلب.

الصنف الرابع: خرسوا فلم ينطقوا، وفنوا به عنهم، وغابوا على ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد، فكان ذكر توحيدهم عيانا لا لسانا.

وذكر أن أهل المعرفة في هذا الاسم على أربعة أصناف أيضًا فعارف قال الله، وعارف قال هو، وعارف قال أنا، وعارف بهت.

قال الشاعر:

صح الوجود له شرعا	إن التحير في دعوى تطلبه
فالله موجدنا موجودنا أبدا	والعبد مفتقر في حق مطلبه
فاذكر سواه به تذكره معرفة	فالله أجلى وجودا والوجود به
والعبد ليس له من نفسه أبدا	إلا انصرام وتشبيه لمشتبه
كيف السبيل إلى المذكور	أهل المذاهب كل عند مذهبه
فالصمت ذكرا له فاذكر كذاك	ذكر لديه فأن الذكر بالشبه

[فوائد وأسرار آية الكرسى]

وروى أبو عيسى الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة آي القرآن آية الكرسي».

وذلك أن الحكمة في أنها سيدة آي القرآن وهي جزء منه، وآية واحدة من آياته لأربعة أشياء:

أحدها: لأجل ما انفردت به من اختصاصها بذكر ذات الله العظيمة، وما حوته من الصفات، واشتملت عليه من جميع الهاءات المضمرات العائدات على الذات خاصة.

وما تضمنته من تحقيق التوحيد، والهاءات المشيرات إلى تخصيص الذات دون غيرها من الآيات، المذكور فيها القصص والأمثال والاستخبار والخبر والوعد والوعيد والنعت والترغيب والنهى والأمر، فكانت كل آية في القرآن تابعة لها.

لأن كل ما سوى الذات تابع لها، وما تفرق من ذكر جميع الصفات الذاتية، جمعته في آيتها الواحدة، في أحد عشر هاء

مضمرات، دون السماء الخمسة المظهرات.

ولا شيء أعظم من ذكر الذات، لأنها جامعة للصفات، فهو أعظم مذكور ومدخور، وأشرف معروف ومنظور.

الثانية: أنها اختصت بستر اسم الذات فيها، وفي مضمرات هاءاتها، وهو جامع لأصول أسماء الذات، وكمال الصفات، وفي الهاء نكتة عجيبة، وأسرار غريبة.

وقد روى أنه من داوم على ذكره هو، غشيته أنواره، وظهرت له أسراره.

الثالثة: أنها سميت بآية الكرسي وعرفت به. والكرسي وسع السموات والأرض وفضل عليها وإن كان الكل خلقه جل وعلا.

وفي ذلك من تفاوت في الخلقة، وإظهار القدرة ولكن يختص بفضله ورحمته من يشاء من خلقه، وكذلك فضل آية الكرسي على جميع آي القرآن، وخصصها باسم ذاته.

وإن كان القرآن كله كلامه وصفة من صفاته، وفيه أسماؤه كلها فيختص بنفسه ما يشاء من كلامه ومن أسمائه.

الرابعة: أن النبي ﷺ سماها باسم السيادة وأطلق بذلك الاسم عليها، وخصصها به دون غيرها من الآيات، ولفظ السيادة أبلغ في أسماء المدح، وأتم في إكمال التخصيص، وأنه في غاية زيادة الفضل.

ألا ترى قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم» ثم أظهر فضل تواضعه، وكمال سيادته وشرفه، بإظهار منة الله تعالى شكرًا فقال «ولا فخر».

فوجب له الزيادة المطلقة، والفضل التام، بذلك الاعتبار، لأن شرف الذكر بشرف المذكور، وشرف العلم بشرف المعلوم.

وفي ذلك قال الشاعر:

الله أكـــبر لا مثـــل ولا شـــبه   هو الكبير وهذا الوصف حـق
وزاد اسم قد استظهرت مظهـره   فـانظر إلى الخلـق ثـم انظـر

والمعلم أن «هو» لفظة ذكر لجميع الحيوان العاقل وغير العاقل، والناطق وغير الناطق، وذكر لجميع الجمادات،من الحجر والشجر والنبات والهواء، وسائر الموجودات، كبيان من نطق باللسان.

وتحريك الجوارح من الإنسان، وكالذكر الدائم القلب الذي لا يكل منه بضربانه وخفقانه، ولا يفتر عنه.

وكذلك النائم يتردد أنفاسه في حالة نومه، وكذلك المريض حين يئن بكربه وألمه، وكالأسد في زئيره، والذئب في نعيقه، والفرس في صهيله، والحمار في نهيقه، والريح بهبوبه، والطير بلغته، والنبات باضطرابه وحركته، والجماد بسكونه، والماء برعده وزجرته.

كل يسبح خالقه، ويشير لموجده، بالهاء المضمرة بضرورة حاله، وبإشارة مقاله «هو هو».

قال الله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[1].

والتسبيح هو التنزيه، وهو الذكر المضمر الذي لا يفقه منه إلا الإشارة بإثبات وجود الواجد للموجودات الواحد القادر المنزه عن صفات المحدثات، سبحانه وتعالى.

قال الشاعر:

جل العظيم وما في الكون من أثر	إلا له ذاكر من كثرة العبر
وكل شيء له ذكر يحق له	أعنى الجماد مع الحيوان والشجر
كل له لغة كل يسبحه	كل ينزهه عن عالم الغير
هو المحيط الذي علما أحاط بهم	ولا يحيط به شيء من الفكر

وروى: أن أبا بكر الشبلى رحمه الله تعالى قال: لقيت جاريه حبشية مولهة وهي تجيء وتسرع في مسيرها، فقلت لها يا أمة الله رفقا عليك والطفي بنفسك، فقالت «هو هو».

فقلت لها من أين اقبلت؟

فقالت من «هو».

فقلت لها: وأين تريدين؟

فقالت إلى «هو».

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

فقلت ما تريدين من «هو».

قالت «هو».

فقلت لها ما اسمك؟

قالت «هو».

فقلت لها كم ذكر «هو».

قالت لا يفتر لساني عن ذكر «هو».

حتى ألقى «هو» ثم قالت:

وحرمة الود مالي عنكم عوض   وليس لي في سواكم بعدكم غرض

ومن جنوني بكم قالوا بها مرض   فقلت لا زال عني ذلك المرض

قال الشبلى: فقلت لها: يا أمة الله ما تعنين بقولك «هو» آلله تريدين.

قال: فلما سمعت بذكر الله شهقت شهقة فاضت منها نفسها، رحمة الله عليها.

قال فأردت أن آخذ في تجهيزها ودفنها فنوديت يا شبلى، من هام بحبنا، وتاه في طلبنا، وتوله بذكرنا ومات باسمنا، إتركه لنا، فديته علينا.

قال الشبلى فالتفت أنظر من المنادي والمتكلم، فسترت عنى، وحجبت عنها. فلم أدر أرفعت أم دفنت، عفا الله عنها.

قال الشاعر:

ومـا الحـب إلا أن تمـوت مولهـا	وتضحي أصم الأذن عما به تفنى
تشـير إشـارات بكـل كلامهـا	إليهم وقد هاموا بغرتها الحسنا

فتأمل وفقك الله هذا الاسم المفرد وجمعه لجميع المعاني بجملة حروفه وتفصيلها، هو الاسم الأعظم.

«اللـــه»

وهو اسم الألوهية الذي تدبرت به جميع المخلوقات، وبسطت به الأرض ورفعت به السموات، وزخرفت لمفرده جنة النعيم، وسعرت لجاحده نار الجحيم.

فإن كل ملك من الملوك إنما له ملك وليس له ملك وإنما يرث ويورث ملكا خاصًا إذا عدم الوارث والموروث.

وهذا الاسم المفرد هو اسم الذات، وفيه الجمع بين الملك والملك وهاء الإحاطة بالكل، فلماذا كان كليا؟

قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] اي موجدها ومظهرها ومنورها بعد عدمها.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

(١) سورة النور: الآية ٣٥.
(٢) سورة مريم: الآية ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

إن في كل لفظة من هذه الألفاظ المفصلة من هذا الاسم المفرد أسرارا عجيبة، ومعاني وحكما، وفوائد وعلوما، ومعارف غريبة.

وفي الاسم التام الكامل أعني:الله

أغرب وأعجب، فابحث وافهم، تجد إن شاء الله تعالى:

يا طالب السر في الأسماء مجتهدا	اطلب هديت إلى مقصودك الحسن
وابحث عليه ترى في شكل أحرفه	معنى عجيبا به من أوضح السنن
سما الكمال به في أفق معلوة	بطول طول بحافي أرفع الغبن
أصل جليل سرى في كل معرفة	واسمع معاني له بالفم والأذن
فهي الديانة في التوحيد جوهره	باسم عظيم فذا للعارف الفطن
هو العزيز الذي عز الوجود به	علوا وسفلا سعى لولاه لم يكن
سر الأليف سرى في الهاء مستترا	وفهمه منن من أعظم المنن
في حرف أوله عظمى جواهره	في حرف آخره روح بلا بدن
حروفه أربع فأدرك معانيها	تحظى بحكمته في السر والعلن
هو الألف الذي اللامان تعقبه	من قبل هاء لها حكم على الزمن
فالله أعنيه اسم الذات منفردا	فاعرف حقيقته يا خير مؤتمن
وانطق به أبدا إن كنت ذا همم	واعلم به أدبا تكفى من المؤن
وارفع به حجبا واشفى به عللا	واكشف به كربا عن كل ممتحن

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٠.

واخرج به لؤلؤا من بحر معرفة	واعلو به درجا ترقى إلى الوطن
وابذل له نفسا في كل موهة	واحفظ سرائره من كل مفتنن
من لم ينله فقد خابت مداركه	دنيا وأخرى معا من حسرة الغبن
ومن تفهمه نارت شواهده	كالصبح تشرق بالآيات والسنن
إن الجواهر لا تغلو لطالبها	ولو تطالب فيها بالغ الثمن
فجوهر الحسن لا يرقى لرتبته	تأبى المعاني به في جوهر الحسن
لا زلت في حفظ رب صائن لكم	ما فادت الريح والأمواج والسفن

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية ما أدركنا فهمه بعقولنا وما سمعنا وقيدنا واستفدنا من شيوخنا تغمدهم الله برحمته ورضوانه.

ونفسهم بالقسم الثاني من علم هذا الاسم المفرد ومعرفة معانيه.

فليتأمله السالك ويجعله من أعظم معانيه، لأن فيه معاني حسنة لطيفة، وفوائد وأسرارا وحكما شريفة، يقع الانتفاع إن شاء الله بها.

فمن انعم عليه بفتح أبوابها، فاطلب تجد، وافهم تفد، بحول الله تعالى.

كمل القسم الأول والحمد لله على جميع نعمه، وصلى الله علي سيدنا محمد خاتم أنبيائه.

يتلوه إن شاء الله تعالى القسم الثاني بفوائده وحكمه، والله المعين على ذلك، ولا قوة إلا بالله.

القسم الثاني

في معرفة فضله وشرف قدره

وشرح معاني أسراره، واختصاص فوائده

وذكره، بحول الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[2].

قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات».

وقال عليه السلام عن الله تعالى: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيه أفضل ما أعطى السائلين».

وقال عليه السلام: «أشد الأعمال ثلاثة إنصاف الرجل من نفسه ومواساة الأخ في المال وذكر الله عز وجل».

وقال عليه السلام: «ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله».

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤١، ٤٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

وقال الحسن قلت أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله».

فانظر وفقك الله كيف جعل ذكر هذا الاسم الله.

اسم الله افضل العبادات. لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا ووقتا وزمانا، ولم يجعل لذكر هذا الاسم مقدارا ولا وقتا ولا زمانا، وحض على الإكثار من ذكره فقال: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[4].

وقال رسول الله ﷺ «الذاكرون الله كثير والذاكرات هم السابقون والفائزون».

وروى أن في التوراة مكتوبا «استوى الجبار بعزته فوق مقاعد العز من عزه فاضطرب الماء لهيبته ونادى الجليل جل جلاله أنا الله لا

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤١.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠٠.

إله إلا أنا من ذكرني ذكرته ومن سألني أعطيته».

ومنها أيضًا: «قال يا موسى: أنا الله القديم الأزلي خالق مكة مفقر الزناة تارك تاركي الصلاة عراة مغلي الأسعار والأهواء مملوءة ومرخصها والأهواء فارغة ذلكم الله ربكم فاعبدوه».

واعلم: أن هذا الاسم قد تقدم الكلام عليه أولا في قسمه بنور ما سمع من علمه، وما فتح الله به من إلهامه وفهمه.

وإنما الحكمة في تذكار ذكره، والحث على كثرة الذكر به دون غيره وذلك لمحبة الله له، وتعظيمه عنده، وعلو مقداره.

وتخصيص فضله وإظهار شرفه، على سائر أذكاره، ليقع التفكر في معاني أسراره، التي تشرق على القلوب والأبدان شموس أنواره وترسخ معرفة ذاكره، ويشتد له حبه، وتكمل خصوصيته ويزداد به قربه.

فإن من علامة محبة المحبوب كثرة ذكره،ومن علامة المزيد كثرة شكره، ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثال أمره، ومن علامة الرضى الاستعمال في الأوقات الفاضلة بصالحات بره، وغلبة خيره على شره.

وفي ذلك قال الشاعر:

كـرر علـى الـذكر مـن أسمائـه ... واجلـوا القلـوب بنـوره وسـنائه

ودر الكنوس على النفوس فإنها ... تصبو على المشروب من صيهبائه

اسم بـه الكـون اسـتفاد ضـياءه	في أرضــه وفضــائه وسمائــه
حارت عقول القوم عند صفاته	نارت قلوب الخلق عند ضيائه
وإذا تجلــى للقلــوب جلالــه	شــعرت بســر ســنانه وبهائــه
قــرت قلــوب المــتقين بقربــه	وعلــت علــى عليائــه وعلائــه
عــز اسمــه للعــارفين مكــررا	معروفــة المعروفــة مــن آلائــه

[أسرار قل هو الله أحد]

ومن تخصيص هذا الاسم المفرد بالذكر أنه ما من لفظه بالذكر من «قل هو الله أحد» إلا وفيها تخصيص وإشارة ومعني وفوائد عجيبة، وأسرار وحكم وعلوم ومعارف جليلة غريبة.

فههنا «قل» إشارة إلى الأمر.

«هو» إشارة إلى إثبات وجوده.

«الله» إشارة لاسم ذات الألوهية.

«أحد» إشارة لإفراد الأحدية.

«الله» إشارة لذكر الاسم المفرد للتوحيد.

«الصمد» إشارة لتنزيه الذات عن نفس البشرية.

«لم يلد» إشارة على كمال التنزيه عمن سواه.

«ولم يولد» إشارة إلى إثبات الأزلية والقدم، ونفي السبقية والحدوث والعدم، وهي إشارة إلى عدم الضد، والشبيه والنظير، والكفو، والند.

وسمى هذا الاسم بالاسم المفرد لتكرار ذكره وإفراده بين الاسم الآخر واسم الصمد.

فاختص الحق سبحانه هذا الاسم الثاني وأفرده، وكرر ذكره ليذكر.

كما خص الاسم باسم ذات الألوهية وبمعناها ظهر، وذكر في الوجود واشتهر، فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2]، أي معبود، ومذكور، ومحمود ومشكور، وجميع الخلق تحت أمره ونهيه مقهور.

يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ولا يخفى عليه شيء فيها من جميع الأمور.

[أوجه ذكر الله أكبر]

وكذا الله أكبر فيه خمسة أوجه:

احدها: أن ذكر الله تعالى لنفسه، وتوحيده وتعظيمه وتمجيده، أكبر واعظم من ذكر خلقه الضعفاء الفقراء وتوحيدهم له، لأنه هو الغنى الحميد.

الثاني: أن ذكر هذا الاسم أعظم من ذكر غيره من أسمائه.

الثالث: أن ذكر الله تعالى لعبده في الأزل قبل كونه أعظم وأكبر إذا ذكره العبد في الحال، وأسبق واقدم واتم واسنى وأرفع واشرف

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٣.

واكرم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[(١)].

الرابع: إذا ذكر الله تعالى في الصلاة أفضل وأكبر من ذكره في غير الصلاة ومشاهدة المذكور في الصلاة أعظم وأكمل وأكبر من الصلاة.

الخامس: أن ذكر الله لكم بهذه النعم العظيمة والمنن الجسيمة، وندبه إليكم بدعوته إياكم لطاعته أكبر من ذكركم له بالذكر عليها إذ لا تطيقون شكر نعمته.

ولهذا قال نبينا ﷺ: «لا أخفي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

معناه لا أطيق وكان أعلمهم وأشرفهم وأرفعهم قدرا وأفضلهم، فأظهر عجزه مع كمال علمه ومعرفته ﷺ.

ثم إن ما بعد توحيده شيء أعظم من الصلاة ولهذا كانت ثاني قاعدة من قواعد الإسلام بقوله عليه السلام «بنى الإسلام على خمس أن يوحد الله وإقام الصلاة» الحديث، وجعلت تكبيره افتتاحها. الله أكبر، وما تجعل لغيره من الأسماء كلها.

ولا يجوز غير ذلك لقول النبي ﷺ «تحريمها التكبير» وكذلك ذكر هذا الاسم في الأذان، وفي كل تكبيره للصلاة.

فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العبادات، وأقرب للمناجاة لا للصلاة ولا غيرها من أنواع الطاعات، وقد ورد في الحديث عن الله عز

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

وجل أنه قال: «أنا جليس من ذكرني».

وقال: «أنا عند ظن عبدي بي إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني وحده ذكرته وحدي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[1].

ودليل تفضيله على الصلاة من نفس الآية قوله تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وإنها كذلك وهي معظم الذكر. ولكن ذكر الله أكبر منها ومن كل عبادة، لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾[2].

ولما روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله» ولقوله عليه السلام في حديث معاذ بن جبل: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله».

ومعنى ذكر الله سبحانه لعبده أن من ذكره بالتوحيد، ذكره بالجنة والمزيد، قال الله سبحانه: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٢.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.
(٣) سورة المائدة: الآية ٨٥.

ومن ذكره باسمه المفرد أعنى «الله» ودعاه بإخلاص أجابه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[1] الآية.

ومن ذكره بالشكر ذكره بالمزيد، قال الله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2] وما من عبد ذكره بذكر إلا ذكره بما يقابله عوضا له.

فإن ذكره العارف بمعرفته، ذكره بكشف الحجاب لمشاهدته.

وإن ذكره المؤمن بإيمانه ذكره برحمته ورضوانه.

وإن ذكره التائب بتوبته، ذكره بقبولها ومغفرته، وإن ذكره العاصي باعتراف زلته، ذكره بستره وأناته.

وإن ذكره الفاجر بفجوره وغفلته ذكره بعذابه ولعنته.

وإن ذكره الكافر بكفره وجرأته، ذكره بعذابه وعقوبته.

ومن هلله أجله، ومن سبحه أصلحه.

ومن حمده أيده، ومن استغفره غفر له، ومن رجع إليه أقبل عليه.

فأن أحوال العبد كلها أربعة أحوال:

منها: أن يكون في طاعة فيذكره برؤية المنة في توفيقه لها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

ومنها: ان يكون في معصية فيذكره بالستر والتوبة.

ومنها: أن يكون في نعمة فيذكره بالشكر.

ومنها: أن يكون في شدة فيذكره بالصبر.

وفي ذكر الله تعالى خمس خصال: رضى الله تعالى، ورقة القلب، وزيادة الخير، وحرز من الشيطان، ومنع من ركوب المعاصي.

فما ذكره الذاكرون إلا بذكره لهم، وما عرفه العارفون إلا بتعريفه إياهم وما وحده الموحدون إلا بعلمه لهم، وما أطاعه المطيعون إلا بتوفيقه لهم وما أحبه المحبون إلا بتخصيص محبته لهم وما خالفه المخالفون إلا بخذلانه لهم.

فكل نعمة منه عطاء وكل محنة منه قضاء، وما أخفته السابقة اظهرته اللاحقة، وفي ذلك قال الشاعر:

يا فاضلا لم يزل ماذا اقول به ... وفضل ذكرك بالأعلام أذكار
بذكرك العبد خذلى واهدني رشدي ... فهديكم بطريق الرشد أنوار
واهد لي عملا ترضاه يا أملى ... وأطلق لساني بذكر الحق إجهار

واعلم: أن كلمة التوحيد شيء بين النفي والإثبات أولها: لا إله وذلك نفي وتبرئة وجحد وكفر وإنكار وآخرها: إلا الله.

وذلك هو إنشاء وإثبات وإيمان وتوحيد ومعرفة وإسلام وشهادة وأنوار.

فلا تنفى الألوهية عما لا يستحقها ولا يجب له.

وإلا الله إثبات الألوهية لمن يستحقها ويجب له حقيقة.

وقد جمع معني ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[1].

ولا إله إلا الله هو للعامة طهارة لإفهامهم من شبه خيالات اوهامهم إثبات الوحدانية، ونفي الاثنينية، وهي للخاصة قوة في اديانهم، وزيادة في نور آمالهم بإثبات الذات والصفات، وتنزيهها عن تغير صفات الأحداث وطرو الآفات.

وهو لخاصة الخاصة تنزيها عن ذكره ورؤية المنة والفضل بالشكر على شكرهم.

[أصناف الناس في التوحيد]

والناس في التوحيد وذكره ثلاثة أصناف:

صنف منهم عموما لأهل البداية، وهو التوحيد باللسان نطقا ومقالا واعتقادا وإخلاصا بأنوار شهادة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهو الإسلام.

وصنف خصوص وسط، وهو توحيد القلب تصريفا وصرفا واعتقادا وإخلاصا وهو الإيمان.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

وصنف خصوص الخصوص وهو توحيد العقل عيانا أو يقينا ومشاهدة وهو الإحسان.

[مقامات الذكر]

وللذكر ثلاثة مقامات:

ذكر باللسان، وهو ذكر عامة الخلق.

وذكر بالقلب، وهو ذكر خواص المؤمنين.

وذكر بالروح، وهو لخاصة الخاصة، وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم على ذاكرهم، ومنته عليهم.

ولذاكر هذا الاسم المفرد أعنى الله حالات: حالة الوله والفناء وحالة الحياة والبقاء، وحالة النعم والرضا.

فأما الحالة الأولى من الوله والفناء، وهو الذي يقتصر على ذكره ولا خاصة في بدايته دون غيره من الأسماء، ويجعله نجيا، ويحقق ذكر الهاء فيه حين يذكره، فمن داوم على ذلك محى ظاهره وامحق باطنه فكان في ظاهره كالمجنون والموله اسحق عقله عنه لا يقبل عليه أحد ويفر الخلق منه ولا يسكن إليه لأجل ثبوت الوله الذي كسي ظاهره وسر الاسم الذي هو ذاكره.

فإن ذكر صفة الألوهية لا يقدر أحد أن يتصف بشيء منها ولا يستقيم ثباتا أن يتلقاه نفسا يصدر عنها فصار ذاكره بين الخلق كما

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1].

وكان في باطنه كالميت الفاني لسكون ذاته وصفاته وسكونه على مألوفاته وعاداته وخضوع جوارحه وهمود فؤاده وخشوعه، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[3].

وأما الحالة الثانية من الحياة والبقاء فإنه إذا تحقق ذاكر هذا الاسم فيه وثبت عليه وألفه امتحت منه رسومه وأوصافه، ونفخ فيه روح الرضا بعد موت اختياراته وإرادته، وفنى عن حظوظ عاداته وشهواته، وخرج عن مذموم صفاته.

وانتقل من حالة الوله والفناء، إلى حالة الحياة والبقاء، وكانت له هيبة وسطوة في الموجودات. خافه وعظمه وذل له وتبرك به كالشيء من المحدثات.

وأما الحالة الثالثة: من حالة النعيم والرضا فإنه ذاكر هذا الاسم إذا عظم أمر الله،وأشفق على خلق الله، ولم يتغالى بالادعاء في دين الله، وانبسط من نفسه بالله لله، واتسع بسعة رحمة الله، ولم تؤثر فيه مخلوقات الله، ولم يبق لأحد ولا لشيء عليه سبيل بإذن الله.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.
(٢) سورة المزمل: الآية ٥.
(٣) سورة الحج: الآية ٥.

انتقل من حالة الحياة والبقاء إلى حالة النعيم والرضا، وعاش عيشة منعمة دائمة كريمة هنيئة مرضية، لا كدر فيها ولا غبر.

سليمة مستقيمة وتمكن في حاله، وأمن فاطمأن، وثبت وكان بين الخلق كغيث المطر.

حيثما حل أخصب وانبت واقتات جميع الأشياء منه، وحصل له التنعم والرضا بالله، ورضى الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

[آراء العلماء في الذكرين]

وروى أن فقيرا في مجلس الشبلى ﷺ صاح: الله، فقال له الشبلى يا هذا إن كنت صادقا فقد اشتهرت، وإن كنت كاذبا فقد هلكت.

وصاح رجل عند أبي القاسم الجنيد رحمه الله، فقال له الجنيد: يا أخي إن كان من ذكرته شاهدا لك وأنت حاضر معه، فقد هتكت الستر والاحترام والغيرة من شيم أوصاف المحب المستهام، وإن كنت ذكرته وأنت غائب عنه فذكر الغيبة غيبة والغيبة حرام.

وحكى عن أبي الحسن الثوري رحمه الله: أنه بقى في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم. وهو يقول الله الله.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

واخبر أبو القاسم الجنيد بحاله فقال أ. محفوظ عليه أوقاته.

قيل له: إنه يصلي الصلاة لوقتها. فقال الحمد لله الذي حفظه ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا.

ثم قال لأصحابه قوموا بنا حتى نزوره فإما نفيده أو نستفيد منه.

قيل فلما دخل عليه الجنيد: قال يا أبا الحسن هل قولك الله الله بالله أم بنفسك فإن كنت القائل بالله فلست القائل له، فإنه المتكلم على لسان عبده، الذاكر نفسه بنفسه، وإن كنت القائل بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله.

قال له الثوري نعم المؤدب انت يا أستاذ فسكن ولهه:

ولهت بكم ذكرا وحقا لصبكم	يصيب بذكراكم ويفنى بكم عشقا
فمن لم يجد شوقا إلى الحب غالبا	على العقل من وجد لعمري لقد يشقي
وما الذكر إلا أن يغيب بذكره	عن الذكر في المذكور من وله يلقى
ومن كان ذا عقل فليس له ذكر	ومن غاب عن ذكر فحق له يرقى

واعلم. أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان، بمداومة حضور القلب وإخلاص ذكر اللسان، مع رؤيته منه.

السيد يجرى إطلاق الذكر على لسان العبد.

وقيل الذكر هو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة، على استيلاء الخوف وشدة المحبة وهيجان الشوق وقلة الغلبة.

وحقيقة الذكر أفراد المذكور بغيبة الذاكر عن ذكره، وفنائه في المشاهدة والحضور لم يغب مشاهدته في مشاهدته، فيشهد حقا بحق فيكون الله هو الذاكر والمذكور.

فمن حيث جريان الذكر على لسان العبد كان ذاكرا له.

ومن حيث تيسيره له وتسهيله على لسانه هو ذاكر لعبده فما به ذكره، ومن حيث بعث الخاطر ابتدأ منه كان ذاكرا لنفسه على لسان عبده.

كما روى في الحديث الصحيح أنه قال تعالى: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به» الحديث.

وفي رواية أخرى: «كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا» الحديث.

[أقسام الذكر]

والذكر تختلف أنواعه وتتعدد، والمذكور واحد لا يتعدد، ولا يتحدد، وأهل الذكر هم أحباب الحق من حيث اللوازم وهو على ثلاثة أقسام: ذكر جلى، وذكر خفي، وذكر حقيقي، فالذكر الجلي لأهل البداية وهو ذكر اللسان يصرف الشكر والثناء والحمد بتعظيم النعم والآلاء ورعى العهد وحسنته بعشر إلى سبعين.

والذكر الباطن الخفي لأهل الولاية وهو ذكر سر القلب بالخلاص من الفترة، والبقاء مع المشاهدة بلزوم مشاهدة الحضرة

وحسنته بسبعين إلى سبعمائة.

والذكر الكامل الحقيقي لأهل النهاية، وهو ذكر الروح بشهود الحق إلى العبد، والتخلص من شهود ذكره ببقائه بالرسم والحكم وحسنته بسبعمائة إلى مالا نهاية له بالتضعيف.

لأن المشاهدة فناء لا لذة فيها والروح له ذكر الذات، والقلب له ذكر الصفات، واللسان له ذكر العادة للتعرضات.

فإذا صح ذكر الروح مكث القلب عن ذكره ذلك وذكر هيبة الذات.

وفيه إشارة إلى التحقيق بالفناء، وإشعار بالقرب، وإذا صح ذكر القلب سكت اللسان وفتر عن ذكره وذلك ذكر الآلاء ونعمها أثر الصفات.

وفيه إشارة إلى استدعاء وجود بقية دون فناء وإشعار تضعيف القبول، فإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر عادة وتعرضا.

[آفات الأذكار]

ولكل واحد من هذه الأذكار آفة.

فآفة ذكر الروح إطلاع سر القلب عليه.

وآفة ذكر القلب إطلاع النفس عليه.

وآفة ذكر النفس التعرض للعلات.

وآفة ذكر اللسان الغفلة والفتور.

وفي ذلك قال الشاعر:

هو الله فاذكره وسبح بمحمده ... فلا ينبغي التسبيح إلا لمجده

عظيم له حق المحامد كلها ... فماذا عسى تقضيه أذكار عبده

لو البحر أضحى والبحار تمده ... مدادا ومحصى البحر عاد كمده

واجهرت الأشجار تكتب حمده ... لإنفاذ ما تحمده من دون عده

لزاد تسمى بالحميد وخلقه ... تسبح ما دام الوجود لمجده

[اقسام الناس فى الذكر]

ثم الناس في الذكر على ثلاثة أقسام: عامة مفادون، وخاصة مجتهدون، وخاصة الخاصة مهتدون.

فذكر العامة بداية للتطهير، وذكر الخاصة وسط للتقدير.

وذكر خاصة الخاصة نهاية للتبصير، فذكر العامة بين نفي وإثبات، وذكر الخاصة إثبات في إثبات.

وذكر خاصة الخاصة حق بحق إثبات الإثبات، من غير رؤية واسعة ولا التفات.

فذكر الخائفين على وعيده، وذكر الراجين على وعده، وذكر الموحدين بتوحيده، وذكر المحبين على مشاهدته وذكر العارفين ذكره له لا بهم ولا لهم، فالعارف يذكر الله تشريفا وتعظيما.

والعالم يذكر الله تنزيها وتمجيدا، والعابد يذكر الله خائفا وراجيا، والمحب يذكر الله ولها، والموحد يذكر الله هيبة وإجلالا، والعامة تذكر الله عادة جارية والعبد مقهور وللذكر مذكور، والمكلف غير معذور.

وكيفية الذكر على ثلاثة أحوال:

ذكر البداية للحياة واليقظة.

وذكر التوسط للتنزيه والطهارة.

وذكر النهاية للوصلة والمعرفة.

فذكر الحياة واليقظة بعد التلبس بشروطه الإكثار من ذكر «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت».

وذكر التطهير والتنزيه بعد التلبس بشروطه الإكثار من «حسبي الله الحي القيوم».

[مراتب الذكر]

وللذكر ثلاث مراتب:

منها ذكر الغفلة وجزاؤه الطرد واللعن.

وذكر الحضور قرب وزيادة وفضل.

وذكر الاستغراق محبة ومشاهدة ووصل كما قيل:

مـا إن ذكرتـك إلا هـم يقلقنـي	فكرى وذكري وسري عنـد ذكراكا
حتى كان رقيبا منك يهتف بي	إيـاك ويحـك والتـذكار إياكـا
اجعل شهود كفي لقياك تذكرة	فـالحق تـذكاره إيـاك لقيـاك
فما ترى الحق قد لاحت شواهده	وواصـل الكـل مـن معنـاه معناكا
فامنن بذكر صفا عن كل مشتبه	وارحم عبيدا عسى بالقلب يرعاكا

واعلم: أن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء:

إما ذكر اللسان بقرع باب الملك وهو كفارة ودرجات.

وإما ذكر القلب بإذن مخاطبة الملك وهو زلفا وقربات.

وإما ذكر الروح بمكالمة الملك ومحادثته وهو حضور ومشاهدة.

فالذكر باللسان والقلب غافل هو ذكر العادة العاري عن الزيادة، والذكر باللسان والقلب حاضر هو ذكر العبادة المخصوص بالإفادة، والذكر بكل اللسان وملء القلب هو الكشف والمشاهدة، ولا يعلم قدره إلا الله تعالى.

[فضل قل هو الله أحد]

وروى: «أن من أكثر في بدايته من قراءة: قل هو الله أحد نور الله قلبه وقوى توحيده».

وروى: البزار عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال «من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى ونادى مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه ألا إن فلانا عتيق

الله فمن له قبله تبعة فليأخذ من الله عز وجل».

وروى: «أنه من أكثر من الاستغفار عمر الله قلبه وكثر رزقه وغفر ذنبه ورزقه من حيث لا يتحسب وجعل له من كل ضيق فرجا ومخرجا ويؤتيه الدنيا وهي راغمة ولكل شيء عقوبة وعقوبة العارف الغفلة عن الحضور في الذكر».

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل شيء مصقلة ومصقلة القلب الذكر وأفضل الذكر لا إله إلا الله» وجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر. وباب الفكر.

فإن أرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتوكل عمل القلب، والتوحيد قوله، وباب الذكر الفكر، وباب الفكر اليقظة، وباب اليقظة الزهد.

وباب الزهد القناعة، وباب القناعة طلب الآخرة، وباب الآخرة التقوى وباب التقوى الدنيا، وباب الدنيا الهوى، وباب الهوى الحرص وباب الحرص الأمل.

والأمل هو الداء العضال الذي لا يبرأ، وأصل الأمل حب الدنيا، وباب حب الدنيا الغفلة، والغفلة هي غلاف على باطن القلب يتولد.

والتوحيد هو الإكسير الذي لا يضر مع اسمه شيء، كما قيل: «بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم».

وأعظم التوحيد ولبه وقلبه وجوهره توحيد هذا الاسم المفرد وإفراده ومعرفته.

وذكر أن بعض العارفين المحققين سئل عن اسم الله الأعظم فقال: هو أن تقول الله، وأنت لا تكون هناك، فإن من قال الله من الخلق قاله بحظ، وما تدرك الحقائق بالحظوظ.

ومن قال الله بالحروف فإنه لم يقل الله ولا ذكره حقيقة، لأنه خارج عن الحفوظ والحروف والأفهام والمحسوس والرسوم والخيالات والأوهام.

لكن ربنا بفضله رضى منا بذلك وأثابنا عليه لأنه لا سبيل على ذكره وتوحيده من حيث لا حال ولا مقال إلا بها في استطاعة البشر من قوله بإدراكه.

وأصل التخصيص والعناية من العارفين والعلماء أهل التمكين لا يرضى ذكره منهم بذلك كما قال: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

ومن أحسن أن يقول الله ويذكره بتوفيقه له، وتخصيصه إياه، تحققت له الأسماء الحسنى بقوله وذكر الله وبذكر اسم من أسمائه.

فكان قوله الاسم مثل كن تكن له الكائنات، ويتصرف به في الموجودات فمن قال الله حقا بحق لا عن علة ولا بعلة، بل عن علم

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٧٤.

قام به وبمعرفته وتعظيم له وإجلال كامل، وتنزيه محض، ورؤية منته.

فقد أجل الله ذكره وعظمه وعرف قدره، فإن ذكر الله وتوحيده هو رضاه لهم به كما يستحقه هو سبحانه، والمعرفة رؤية لا علم، وعين لا خبر، ومشاهدة لا وصف، وكشف لا حجاب ما هم هم، ولا هم بإياهم كما قال تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾[1].

فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا.

كيف السبيل إليه وهو منزه	عن مهنة الكلى والأبعاض
لفنا وجودهم بذات وجوده	متنزه عن جوهر الأعراض
لا شيء يشبه فأين وكيف ما	فمتى سؤال عن حدود ماضي
ومن العجائب أن يكون وجوده	فوق الظهور وغاية الأغماض

[توحيد الله لذاته]

وفي الحقيقة ما ذكر الله إلا الله ولا عرفه سواه، ولا وحده أحد إلا إياه، أما ذكره لنفسه فقوله: ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾[2]، فذكره جل وعلا لنفسه أكبر وأعظم وأكمل وأتمم من ذكر غيره له.

وأما معرفته به فقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾[3]، فهو العارف بكمال ذاته، وعظيم صفاته.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٥٩.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١.

وغيره من جميع مخلوقاته عاجزون عن أن يحيطوا ببعض مخلوقاته، فكيف بصفة من صفاته.

وأما توحيده له فقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1] الآية.

فهو العالم بتوحيده على الحقيقة والكمال، وما وحده غيره من خلقه إلا بعد ما وحد نفسه، وأفاض من نور توحيده شيئا على ملائكته، وأولي العالم بقدر ما يحمله كل صنف منهم وما سبق لهم من قسمة قسمها في أزلية علمه.

فوجوده بنور توحيده، لا بذات نفس توحيده.

وكل عارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه، لأنها ضرورية وهي غاية المعرفة فإن مثل المعرفة الضرورية كالسراج في الشمس وانبساط شعاعها عليه.

ولهذا أكمل التوحيد رسوخه في العقل، وأقواه سببا في الحجة وأثبته تبيانا في الذهن، وأحقه تمكينا في اليقين، وأوضحه ظهورا في المحجة، والصفة.

اتحادا بالقلب ما أخذه الموجد بشاهد من شواهد ضرورات نفسه، وتحققه بنظر سالم ونقد صحيح.

من أدرك عقله من غير تقليد ولا تشكيك، ولا ظن ولا ترديد.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

فإن التقليد في التوحيد، بعيد المزيد، ولا ينفع ولا يفيد.

والتقليد هو التزام قول الغير من غير معرفة برهان ولا بيان دليل ولا يرضى به إلا كل غبي الفهم غليظ الطبع بليد الفكر جاهل ذليل.

مبعود محجوب، مهمل مسلوب، عصمنا الله وإياكم من حجاب هذه الصفة، وجعلنا من أهل العلم والفهم والتحقيق والمعرفة بمنه.

[أنواع القلوب]

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال:

«القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن.

وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر.

وقلب أغلف مربوط على غلاف فذلك قلب المنافق.

وقلب تصفح فيه إيمان ونفاق فمثال الإيمان فيه البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت حكم له بها» وفي رواية ذهبت به.

وقال علي كرم الله وجهه ورضى عنه: «القلب الأجرد هو انجراده بالزهد في الدنيا وتجريده من الهوى، وسراجه الذي يزهو فيه هو نور اليقين يبصر به اليقين».

وقال بعضهم: القلب الأجرد هو انجراده بالتوحيد عن

التشكيك والترديد والتقليد وتجريده عما سوى الله، والقلب المنكوس هو من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم، ونكسه عكس رؤية نور ضرورة علم التوحيد برؤية ظلمة الفكر والإشراك.

وفي هذه قال بعض العارفين: أشد الظلم ظلمة العلم وأعظم الجهل جهل التقليد، والقلب الأغلف هو المحجوب بظلمة ظلام جهل التقليد، عن رؤية شمس النبوة والتوحيد،

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[2].

والقلب المصفح هو المتردد بين هوى النفس ومراءاته بعلمه، مع وجود أمانة وتصريفه.

والرياء شرك والشرك محبط للعمل، وأعظم الرياء من رأيا بالإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) سورة الزخرف: الاية ٢٢.
(٢) سورة لقمان: الآية ٢١.

ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[1] الآية.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾[2] الآية.

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[3].

وبالجملة أيما كان القلب فهو الموجب السالب.

وقيل مثل القلب في قوة نوره وتوحيده وضيائه مثل المصباح في القنديل هو القلب، والماء مكان العقل منه، والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح.

وبكثرة العلم يكون روح اليقين، ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[4]، والفتيلة مكان الإيمان منه، وهو اصله وقوامه الذي يغمر بها.

على قدر صفاء القنديل الذي هو القلب المخلص يظهر لون الماء الذي هو العقل المؤيد، وعلى قدر صفاء الزيت ورقته واتساعه الذي هو العلم بضوء نور النور الذي هو مكان الإيمان.

وعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين،وهو مثل الإيمان في قوته بالزهد والخوف والخشية، وبضياء النار تضيء

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.
(٣) سورة الماعون: الآيات ٤-٧.
(٤) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

النفس وهو مثلا علم في مواد التقوى والورع والمعرفة وعدم الهوى وشهوة الطبع.

فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان، والتوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب.

وأرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكر في ميدان التوحيد، فكلما اتسع القلب بالعلم زهد في الدنيا وعدم منه الهوى والحرص والأمل وازداد إيمانه وتم توحيده.

وقيل مثل القلب كالعرش، والصدر كالكرسي، وإذا اتسع الصدر بعلم الإيمان وانشرح بنور اليقين صار كرسيًا وسع علمه ظاهر عالم الملك وباطن عالم الملكوت في ذاته وفي غيره.

وصار سيلا متحيرًا في معارفه، سالكا معتبرًا متخلقًا بأخلاق الملأ الأعلى في أصرافه.

كما روى عن الله تعالى أنه قال: «لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث.

وإذا امتلأ القلب بالتوحيد كان عرشيًا، وتنزهت عن أوصاف البشرية ذاته، وشرفت في الملأ الأعلى صفاته، وعلت وسمت في الملأ الأسفل معرفته، واكتملت بنور اسم الذات بصيرته، وعظمت ما عظم العرش على المخلوقات منزلته، وتخلق بأخلاق الله، وتصير

الأسماء الحسنى وصفه وصفته.

وصار محققًا مستبصرًا فانيا في شهود المذكور عن ذكره، مرددًا رحمته للخلق، داعيًا إلى الحق بالحق.

كما روى عن الله تعالى أنه قال: «لا يسعني عرشي ولا كرسي ولا سماي ووسعني قلب عبدي».

معنى يسعه توحيدا وإيمانا وعلما ومعرفة وإيقانا ومحبة وإخلاصًا فضلا من الله وتخصيصًا.

لا يسعه مساحة ولا خيالا ولا حلولا ولا حسًا ولا حكما، وتنزيه الحق سبحانه على ثلاثة أقسام: تنزيه العامة وتنزيه الخاصة، وتنزيه خاصة الخاصة.

فتنزيه العامة تنزيه الحق عن النقائص، وهو تنزيه النفس عن الشرك والضد والند وأفراد الألوهية بالتوحيد الإله الواحد.

وتنزيه الخاصة تنزيه عن حصر مالا يتناهى من المحامد لأن محامد القديم لا تتناهى وحصر مالا يتناهى محال، وهو تنزيه القلب عن الغفلة والفترة بلزوم الذكر والخشية، ورؤية الفضل والمنة.

وتنزيه خاصة الخاصة تنزيه عن رؤية أنفسهم في التنزيه بنفي تأثير فيه وجود البشرية وتنزيه عن دعوى صدور رؤية الفعلية وهو تنزيه العقل عن تنزيهه.

[معرفة الحق]

ومعرفة الحق سبحانه على ثلاثة أوجه:

معرفة الوحدانية من طريق الخبر على لسان التوحيد بدليل الكمال والقدم.

ومعرفة الوحدانية من طريق الخبر على لسان التوحيد بدليل الكمال والقدم.

ومعرفة القدرة من طريق الاجتهاد على بساط الصفا في ميدان الإحسان بدليل الفضل والنعم.

ومعرفة المحبة من طريق الكشف على شهود الحضور في ميدان التجلي بدليل الجود والكرم.

واختلف العلماء المعبرون في معرفة الله تعالى على ثلاثة أصناف:

فصنف منهم قالوا ما في الوجود من لم يعرف الله وصرفوا.

وصنف منهم قالوا ما في الوجود من عرف الله تعالى وصرفوا.

وصنف قالوا ما عرف الله إلا الله عز وجل وصرفوا.

فأما من أثبت المعرفة بالله لجميع العالم وصرفهم في ذلك فهي من طريق الأسماء والصفات.

فإن أول الواجبات في معرفة الديانات معرفة المعلوم على ما هو

به من صفات ذاته وأفعاله.

ويستدل على الصانع بصنعته وعلى الفعل بفاعله إذ بضرورة العقل يعلم وجود الفاعل لاستحالة وجود فعل من غير فاعل.

وقد قال تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١].

وقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢].

وحديث معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات» الحديث.

فأثبت الله تعالى ورسوله عليه السلام لهم معرفته، ونفى الشك عنهم بوجوده قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[٤].

وهذه الآيات عموم في سؤال الخلق عن خالقهم، فثبت بطريق العقل والنقل أنه ما في الوجود من ينكر وجود الصانع الفاعل

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٧.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٩.

المختار، ولا من يجهل اسمه جل ذكره.

وأما من نفى المعرفة بالله عن جميع العالم وصرفهم في ذلك فهي من طريق عدم الإحاطة بمعرفة حقيقة ذاته وصفاته على ما هو به من كنه ماهيته.

إذ بضرورة العقل يعلم عدم إحاطة معرفة المحدث المقيد، بكمال وجوده المطلق القديم الأحد.

لأنه من إحاطة المفعول بفاعله، وهو محال عقلا.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[2].

وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[3].

معناه ما عرفوه حق معرفته، قال ﷺ: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحار ولزالت بدعائكم الجبال».

وقال عليه السلام: «لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد».

قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا.

قالوا ما كنا نرى الرسل عليهم السلام تقصر عن ذلك» والله

(١) سورة البقرة: الآية ٥٢.
(٢) سورة طه: الآية ١١٠.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١.

اعز شأنا واعظم سلطانا ان ينال أحد أمره كله.

هذه المعرفة محال في حق الخلق واجبة في حق الله تعالى لأنه جل وعلا علم بنفسه وبصفاته وبمعلوماته على ما هو به على الإطلاق من غير تقييد ولا إحاطة لأحد سواه.

وأما إثبات ما عرف الله إلا الله وصرفهم في ذلك، فهو من طريق تحقيق الإحاطة بعلمه المطلق فأنه خالق الموجودات، ومحدث المحدثات، ومدبر أمورهم، وعالم قدرهم ومقدارهم، ومفنيهم وموجدهم، ومبديهم ومعيدهم.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2].

وقال: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[3] الآية.

وقال: ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾[4].

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.
(٣) سورة فاطر: الآية ٣.
(٤) سورة الجن: الآية ٢٨.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.

وقال: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ﴾[1].

وقال: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وقال: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾[4] **الآية.**

وكان عليه السلام أفضل الخلق، وإمام العالم، وقطب الوجود وروح الموجودات، ولكن أعطى الربوبية حقها، وذلك لكمال معرفته ونهاية علمه، وشرف قدره ﷺ.

صلاة ترضيه وتزيده شرفا وعزا وتخصيصا وقربا، ومقامات دانية تدنيه فثبت بطريق العقل والنقل أن ما عرف الله تعالى على الحقيقة أحد من خلقه، ولا عرفه معرفة تجب له سواه جل وعلا.

قال الشاعر:

نطقت بلا نطق هو النطق ... لك النطق لفظا أو يبين على النطق

---

(١) سورة السجدة: الآية ٥.
(٢) سورة المعارج: الآية ٤.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.
(٤) سورة الأحقاف: الآية ٩.

ترائين كي تخفى وقد كنت	والمت لي برقا فأنطقت بالبرق
فمن لي بالنطق الحقيقي	فقير من الأشياء بالحق للحق
جهلت فلم أعلم أشرت فلم	وصرت له عبدا فمن لي بالعتق
فنيت به عنى وكنت به	فإن شاء أفناني وإن شاء لي يبقي
وما أحد يدرى سوى الله	وكل له بالجهل ينطق بالصدق

واعلم أن الناس في ذكره توحيدهم على ثلاثة أقسام:

عموما لأهل البداية الذكر باللسان نطقا ومقالا.

وإقرارًا بالشهادة وهو الإسلام.

وخصوصا لأهل التوسط الذكر بالقلب تصديقا.

واعتقادا وصدقا وإخلاصا، وهو الإيمان، وخصوص الخصوص لأهل النهاية، الذكر بالعقل عيانا يقينا مشاهدة بضرورة الطبع، وهو الإحسان والتفاوت في مراتب معرفة الخلق وتوحيدهم موجود على قدر رتبة الخصوص والعموم في معرفة توحيد الجملة والتفصيل من معرفة الأسماء والصفات خاصة لا معرفة الذات.

[أصل المعرفة]

لأن أصل المعرفة معرفة حق ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحقيقة هي معرفة الذات ولا سبيل إليها لامتناع الضدية، فإن العجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث عن ذات الذات اشتراك.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾[١].

وقال أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه: فسبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

وأما معرفة حق. فهي معرفة الأسماء والصفات وهي مفتوح للخلق بابها وفيها وقع التفاوت بين أهل المعرفة.

فمنهم: من نظر إلى أفعاله من حيث أنها أفعاله وصنعته وذلك حد معرفة عقله وإدراك عقله لا يتعداه.

ومنهم: من نظر إلى قدرة القادر، ولاحظ. فإنه رأى حكم تهز، ولم تحجبه الأفعال عن الصفة، وذلك حد معرفته وإدراك عقله لا يتعداه.

ومنهم: من نظر إلى الصانع لا إلى الصنعة، ولم تحجبه الصفات عن عظمة الذات، وذلك غاية الإدراك ونهاية العقول، ولا تتعداه وإليه انتهت المعرفة في استدلال العموم بالصنعة على صانعها بداية.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٢].

وقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾[٣].

وقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ

---

(١) سورة طه: الآية ١١٠.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٣) سورة الغاشية: الآية ١٧.

وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾[1].

وقال: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

واستدلال الخصوص بالصانع على صنعته نهاية، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾[4].

وقال: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5].

[المشـــاهدة]

والناس في المشاهدة على ثلاثة أقسام:

بداية للعامة، ووسط للخاصة، ونهاية لخاصة الخاصة.

فالعموم شاهدوا جمال حسن صورة حسن المعنى، في الجسم الكثيف المركب الأدنى.

والخصوص شـاهدوا جمـال حسـن صـورة حسـن أس المعنى اللطيف المفيد في هياكل الفناء.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.
(٢) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠، ٢١.
(٣) سورة فصلت: الآية ٥٣.
(٤) سورة النساء: الآية ١٦٦.
(٥) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

وخصوص الخصوص شاهدوا جمال إجلال حسن الجمال الأسني المنزه المطلق في الوجود، الصادر عن سر الأسماء الحسنى.

وكل مشاهد إنما يشهد بقدر ما رفع له من الحجاب، وأشهده إياه من قسمة كانت له في أم الكتاب.

فمن مشاهد يشهد مخلوقا مفيدا خلقا يخلق، ومشاهد يشهد تحقيقا مطلقا حقا بحق، فشتان ما بين ناظر معتبر وناظر وفي ذلك.

قال القائل :

ويبد بأوصاف الجمال فلا يرى	برؤيته شيئا قبيحا ولا ردى
فلما تجلى لي على كل شاهد	وأشهدني بالحق في كل مشهد
تجنبت تقييد الجمال ترفعا	وطالعت أسرار الجمال المبدد
ففي كل مشهود لقلبي شاهد	وفي كل مسموع له لحن معبد
وصار سماعي مطلقا منه بدؤه	وحاشى لمثلي من سماع مقيد
أراها بأوصاف الجمال جميعها	كمحنة مهجور ومحنة مسند

خاتمـــة

تنبه رحمك الله لهذه اللطائف الحسنة، والمعارف الفاضلة الجليلة البديعة المستحسنة.

وتفهم عند تذكرها في معاني أسرارها تر عجبا، وتستفد أدبا، وادع لكاتبها ومؤلفها أن ينفعهما الله بعوارفها ومعارفها.

ونسأله أن ينور بصائرنا بنور توحيده ومعرفته، وأن يمد عقولنا بمواد توفيقه وهدايته، وأن يحرس عقائدنا بالتمسك بكتابه وسننه.

فإنه المرشد للطريق، والهادي إلى طلب التحقيق، والموفق المعين، الساقي بكأس من معين، من عيون المعارف، وأنواع اللطائف من شاء من العباد.

ومن سماه بالمراد، بمنه وفضله وطوله، وهو حسبي في شرح صدري وتنوير قلبي والأمر لله، ولا قوة إلا بالله.

فهرس الكتاب

مقدمة التحقيق ٣

مقدمة الكتاب... ٥

القسم الأول: فى معرفة اشتقاقه وأقسامه وذكرتفصيل

حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه ١٠

فضل لا إله إلا الله... ١٣

أختلاف العلماء حول أشتقاق الاسم المفرد «الله» ١٨

العلم والمعرفة ٣٠

الله الاسم الأعظم.. ٣٢

معانى الأسماء الحسنى ٣٧

الأول.. ٣٧

الثانى ٣٧

الثالث ٣٨

الرابع ٣٨

الله ٣٩

الصفات ٤٥

الحروف الهجائية..٥١

أول الأسماء الحسنى ٦٢

اصناف أهل التوحيد ٦٤

فوائد وأسرار آية الكرسى ٦٥

القسم الثانى: فى معرفة فضله وشرف قدره وشرح

معانى أسراره واختصاص فوائده وذكره ٧٣

أسرار قل هو الله أحد.......................................٧٦

أوجه ذكر الله أكبر ٧٧

اصناف الناس فى التوحيد.................................٨٢

مقامات الذكر ٨٣

آراء العلماء فى الذاكرين ٨٥

أقسام الذكر..٨٧

آفات الذكر ٨٨

أقسام الناس فى الذكر ٨٩

مراتب الذكر ٩٠

فضل قل هو الله أحد ٩١

توحيد الله لذاته ٩٤

أنواع القلوب..٩٦

معرفة الحق ١٠١

أصل المعرفة ١٠٦

المشـــاهدة..١٠٨

الخـــــاتمة ١١٠

